الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ١٠٥ — ٨ يوليو سنة ١٩٣٥ — السنة الثالثة

3 me Année, No. 105.

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi-8-7-1935

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ١٠٥ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ ربيع الثانى سنة ١٣٥٤ — ٨ يوليو سنة ١٩٣٥ » السـنة الثالثة

فهرس العـــدد

الميت الذى لا يموت

الشيخ محمد عبده

بمناسبة ذكراه الثلاثين



« عجب عجيب ! ! شيخ يلبس حُلة مقطوعة الكم ، ضيقة الرُّدن، مُبَنَّقة الجيب ، ويعتم على طربوش كطرابيش الأفندية ، وينتعل حذاء كأحذية الفرنجة ، ثم يتكلم الفرنسية، ويصاحب الخواجات ، ويغشى بلاد الـكفر ، ويترجم كتب أوربا ، ويأخذ عن جمال الدين ، ويدرس المنطق على رغم ابن الصلاح ، ويريد أن يُدخل فى الأزهر علوم المدارس ، ويشتغل بالأدب ، وينشئ المقالات

للصحف؛ ثم يحرم «الدوسة»، وينكر الوسيلة، ويحلل الموقوذة، ويسوغ لبس القبعة، ويجيز الربا في صناديق التوفير، ويحاول الاجتهاد، ويفسر القرآن على غير طريق السلف... ! !

نعوذ بالله من شر هذه المحنة وعواقب هذه الفتنة، ونسأله أن يقبضها على منهج السنة وعقيدة الجماعة . . . . »

هكذا كان يقول جمهور «العلماء» في صحن الأزهر حين انبلج نور الاصلاح من جبين محمد عبده، كما كان يقول مشركو قريش في فناء الكعبة حين انبثق نور الهدى من غرة محمد رسول الله ! لأن دعوة الدين فجأت الكعبة على دنيا مقلوبة الأوضاع، في الأخلاق والطباع، فقال الناس حين رأوا رجلا رأسه في السماء ورءوسهم في الأرض: انظروا كيف يريد أن يبدل نظام الكون ويغير خلق الله ؟! ولأن دعوة الاصلاح باغتت الأزهر على سكون كذهول البله، وخمود كغشية الموت، واستغراق كخدر الأفيون، من طول ما تنكرت له الاحداث، وطغت عليه البدع، وعششت فيه الجهالة، فارتد إلى مثل تكايا الصوفية، أو صوامع الرهبان، يقطع أهله عن الناس، ويجري بهم إلى الخلف، ويعيش معهم في الماضي، ويجعل المثل الأعلى لرجل الدين أن يتوفر على مسائل الفقه، ويتقيد بآراء السلف، ويتعبد بألفاظ الموتى؛ فلما نبههم الامام إلى أن الدين للدنيا، والعلم للعمل، والعلماء إنما يخلفون الأنبياء ليظل أثر الدعوة شديداً، وحبل الدين جديداً، وخلافة الله قائمة، فتحوا أعينهم على رجل يخالف سمتُه سمت البيئة، وزيه زي القوم، ورأيه رأي الحَلْقة، فاستوحشوا من ناحيته وأنكروه، ثم قالوا معتزلي مبتدع !

***

قال الأستاذ الامام وهو ينفض باسما ما حَثَوْه على عِطفيه من الظنون والتهم: لا صلاح للدين إلا بصلاح الأزهر، ولا قيامة للدنيا إلا بقيامة أهله ! ثم استعان على خصومه بالاحسان والنصيحة والصبر حتى آمن من آمن، وهادن من هادن، فوضع يمناه في أيديهم، ويسراه في أيدي أولئك الذين فتنهم الغرب فأنغضوا رءوسهم إلى مدنية الاسلام، وذووا وجوههم عن ثقافة العرب، يحاول أن يصل بين الثقافتين، ويوفق بين العقليتين، ويجعل من هؤلاء وهؤلاء وحدة متّسقة الفكر، متفقة الهوى، متحدة الغرض، تؤلف بين الدين والعلم، وتقرب بين الشرق والغرب، وتصل بين الماضي والحاضر؛ فنجح على قدر ما ينجح الأنبياء والمصلحون في إبّان الدعوة، يهيثون الأرض في رجف من الخصومة، ويبذرون البذر في عصف من المعارضة، ثم ينفثون في أتباعهم القليلين المخلصين أرواحهم الخالقة وقواهم الخارقة، ليكونوا من بعدهم أوصياء على الغراس، وشهوداً على الناس، وأدلاء على المحجة

***

لاريب أن الإمام محمداً كان من أولئك الأعلام المصطفَيْنَ الذين يوضح الله بهم طريق الانسانية من قرن إلى قرن؛ وأخص ما تميزهم به الطبيعة متانة الخلق، وصلابة الرجولة، وشدة الأسر، وقوة الحيوية، وحدة الذهن، وصفاء الملكة. ورث عن أبيه وثاقة التركيب، وشجاعة القلب، فشب نابياً على الضعف، آبياً على السكون؛ يريد أبوه أن يكون تلميذاً كلِداته في المكتب، فيأبى هو إلا أن يكون زارعاً كأخوته في الحقل ! ويرسله أبوه إلى المعهد الأحمدي يطلب العلم، فيفر منه إلى مدارج السبُل يطلب الفلاحة ! لأن حفظة القرآن وحملة الفقه كانوا موضع العطف من القلوب لقلة الكسب وضعف الحيلة؛ وحيويته تأنف الخمود، وحريته تأبى القيود، ورجولته تعاف الشفقة

ثم لجأ إلى الشيخ درويش خال أبيه، وهو صوفي عالم من أهل البحيرة، سار في الأرض حتى بلغ طرابلس الغرب، فأخذ الشريعة والطريقة على السيد محمد المدني؛ والتصوف في المغرب يقوم على ذكر الله بالاستحضار، وتلاوة القرآن بالاستذكار، ورياضة النفس بالتأمل؛ فأخذ يروض جموح طبعه بالصلاة، ويلطف حُمَيَّا شبابه بالذكر، ويطفئ غليل قلبه بالدرس، حتى فتح السبيل بين نفسه وبين الوجود الأبدي والكمال المطلق

ثم اتصل بالسيد جمال الدين فتولى عقله يثقفه بالمنطق، ويكمله بالحكمة ويقويه بالملاحظة؛ فكان لهؤلاء الثلاثة: أبيه مربي جسمه، وشيخه مربي روحه، وأستاذه مربي عقله، أبلغ الأثر في تكوين صفاته وتوجيه حياته وتبليغ رسالته . . .

(للكلام بقية)

احمد حسن الزيات

٥ـ كلمة وكليمة

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

أرادوا مرةً امتحانَ السياسيين فى بلاغة السياسة ، فطرحوا عليهم هذا الموضوع :

سَرَقْتَ حقوقَ أمةٍ ضعيفة ، فاكتب كيف تشكرها على هديَّتها . . .

* * *

عند ما يَشربُ الضعفاءُ من السراب الذى تُخَيِّله السياسةُ لأعينهم ـ يقدِّمون لهم المناديلَ النظيفةَ ليمسحوا أفواهَهم . . .

* * *

لو سُئِلَ السياسيُّ العظيم : أيُّ شىء هو أثقلُ عليك ؟ لقال : إنسانيتى

* * *

قد يُبْطِلُ المنطقُ كل الحجَج إلا اثنتين : حُجَّةَ السياسيِّ القوىِّ حين يغتصبُ الضعيفُ ، وأُختها حُجةَ اللص الفاتك حين يُسألُ من أين اشترى ؟ فيقول : اشترت يمينى من شمالى . . . . .

* * *

قالوا . نظم الصَّقرُ قصيدةً من الغَزَل فى عُصفور جميلٍ مُصَبَّغِ الريش ، فكان مَطْلَعُها : « ما أَلَذَّ » ريشك أيها العصفور ! هكذا لغةُ السياسة

* * *

مرَّ فيلسوفٌ برجلٍ مصوِّرٍ بين يديه صورةُ امرأةٍ قد صورها فأكثر عليها الحَلْى من الذهب والجوهر ، فسأله فى ذلك ، فقال المصوِّر : لم أستطع أن أجعلها حسناءَ فجعلتها غنيَّة . . . كذلك أحزابُنا السياسية لما عجزتْ عن حقيقة السياسة جعلتنا أغنى الناس بالكلام الفارغ

* * *

من تمام فضيلة الرجل السياسىِّ أن يكون له كلامان : أحدهما سكوتُه

* * *

فى الحب والسياسة ، لا يَبْدأُ الانمُ إلا كالفلْتة المفْرَدَة ؛ ولكن متى وَقَعَ الشَّاذُّ فى السياسة والحب ، صار هو القاعدة . . . .

* * *

إذا رأيتَ شبابَ أُمةٍ يَتَنبَّلون بالثياب والزينة ، فاعلم أنها أُمةُ كَذِبٍ ونفاق : يُغَطُّون الحقيقة الرخيصةَ بالثوب الغالى ، ويكذبون حتى على الأعين

* * *

فضيلةُ الملائكة عند الناس أنهم لا يكابدُون ولا يحْزَنون ؛ أفلا تكونُ فضيلةُ الناس عند الملائكة أنهم يكابدون ويحزنون ؟

* * *

قالت العَشرةُ للألْف : أنت سرقتَ منى صِفْرين . . . هكذا رأيتُ غرورَ بعض أدبائنا

* * *

يكْبرُ بعضُ الأدباء من صِغَر المحيطين بهم ؛ قالوا بَعَرَت شاةٌ حولَ قطعةٍ من حَجر ، فنطقتْ بَعْرةٌ فقالت للحجر : يا ما أعظَمَك أيها الجبلُ الشامخ . . .

* * *

يكونُ فى بعض الأدباء من سَخَافة الحِقْد ما لا يكون مثله إلا فى بعض النساء من دناءة الغَيْرة : لو ماتت ضَرَّتها لبقى من ذَنبها أنها كانت ضَرَّة . . .

* * *

من فَرَضَ على الناس أن يعرفوه نابغةً فقد فَرَضَ عليهم أن يعرفوه معتوهاً أو مغروراً

* * *

إذا أردتَ أن تتكلم عن ميِّت ، فضع نفسك فى موضعه ثم تكلم

* * *

مَن أكثر الشكوى إلى الناس ، علمهم كيف يسمعون كلامه خالياً من الشكوى

* * *

إذا صَدقَ الحبُّ كانت بعضُ اللعَناتِ فيه أحياناً ضرباً من التحايا (غيابياً) . . .

* * *

كلُّ معشوقةٍ هى أعظمُ من عاشقها بحاجته اليها ، ولو كانْ مَلِكا وكانت خادماً ؛ فما أحْقر العظَمة أحياناً !

* * *

علمتنى التَّجربةُ أنه لا يَحْسُنُ استعمال البلاغة مع محاتر النساء ، فانهنَّ يحسبنها غزلاً . . . فمن كَتب لاحداهن فلا يحملَنَّ كتابه متقدِّماً فى الأدب بل متقدِّماً فى السِّن . . .

* * *

لاتكونُ صورة المرأة أجملُ من الأصل إلا عنـد اثنين : العاشق ، والمصور المُـكْرَه على التزوير . . .

* * *

المرأةُ التى لاتعرفُ كيف تجعلُ كبرياءَها وسيلةَ حُبّ ، لاتجعلها إلا وسيلةَ مَقت

* * *

إذا أصبتَ زوجَين يتمنى أحدهما موتَ الآخر ، فلن تجدَ لهذا الآخر عملاً إلا أن يَغيظَ صاحبه كلَّ يوم بأنه لم يَمُتْ . .

* * *

أعظمُ الشعراء وأعظمُ الفلاسفة من بلغ درجةَ الطِّفل ... فى جعل حكمه على الدنيا من الشعور لا من الفكر

* * *

تزول صُفةُ الجمال عن الحبيب إذا لم يره مُحبُّه متَّصفاً بها ؛ ولكنَّ المشكلة هى : كيف يستطيع أن يراه غيرَ جميل ، وهو كأنما خُلِقَ من أجلِ عينيه خاصَّة ؟

* * *

أيُّهما الذى تحبُّه المرأة ؟ ألرجـلُ القويُّ بأنواعِ القوة يُعجِبُها فتراه سيِّدَها وسيِّدَ قلبها ، أم الرجلُ الضعيفُ أنواع الضعف ترى نفسها سيِّدَته ؟

هذا هو جوابُ طبيعةِ المرأة على طلب المساواة بين الرجال والنساء

* * *

من سُخْريةِ الحياة بالنابغة المبقريّ ، أنه حين يؤخِّر عمله من عجز أو ضعف ، يكون هذا هو كل مايستطيعه النابغة المبقرى . . . .

* * *

لو اجتمع الذين ملأوا الدنيا بشهرتهم لما ملأوا داراً صغيرة ؛ كأن منهم مما لِكَ للتاريخ كمالك الأرض فلا يتسع إلا لعَدد محدود

* * *

لو كنتُ قاضياً ورُفِعَ إليَّ شابٌّ يجرُأ على امرأة فمَسَّها أو احتكَّ بها أو طاردَها أو أسمَعَها ، وتحقَّق عندى أن المرأة كانت سافرةً مدهونةً مصقولةً متعطِّرةً مُتَبرِّجة — لعاقبتُ هذه المرأةَ عقوبتين : إحداهما بأنها اعتدَتْ على عفة الشاب ... ، والثانية بأنها خَرقاءُ كشفت اللحمَ للهِرّ . . . .

* * *

لن يكونَ الالحادُ من العلم ، فأساسُ العلم هو هذا : ما عَرَفْتَه فقد عرفتَه ، وما لم تعرفه فلا أقلَّ من أن تقرَّ بأنك لا تعرفه

* * *

إذا كنت قائداً عظيماً فى أمة ذليلة فقيرة ، استطعت أن تكون نبياً فيها بنَصْبِ شَنَّا قتَين ؛ وما أسرعَ ما يعتقدون أن الذى معه عِزْرائيل كالذى معه جِبْرائيل . . . .

* * *

ليس المصلحُ من استطاع أن يُفْسِدَ عمل التاريخ فهذا سهلٌ مُيَسَّرٌ حتى للحَمْقى ؛ ولكن المصلحَ من لم يستطع التاريخُ أن يُفسد عملَه من بَعْد

* * *

كل أبٍ يضربُ أولادَه المساكين هو نابليون ، ولكنه نابليون داره فقط . . . .

* * *

دَجاجَةُ القَفَص امرأةٌ متحجبةٌ فى نظر الثَّعلب ؛ وحجابها جهلٌ وحماقةٌ ورَجْعيةٌ وتخَلُّفٌ عن زمن الثعالب . . . .

* * *

هنا مسألةٌ اقتصادية : فهذا مسجدٌ واسع مفتوح لا يؤجَّر بايجار يُنْتَفَع به ؛ وهذه كنيسةٌ قائمةٌ لا تستوفى الدولةُ عليها ضريبة . أفليس الاصلاح أن يحوِّلَ المسجد دارَ صناعةٍ مثلاً ، وتنقلبَ الكنيسةُ مثلاً (خمَّارة) ؟

بلى أيها الحاكم . إن هذا هو إصلاحك الطبيعى ما دام عقلك كيسَ دراهم ، وما دامت بلادك بلاد إفلاس . . . .

(طنطا) مصطفى صادق الرافعى

دستور قناة السويس

وهل نسخ ميثاق عصبة الأمم ؟

للأستاذ محمد عبد الله عنان

منذ يناير الماضي تجوز السفن الايطالية قناة السويس فى كل يوم تقريباً ، مشحونة بالجند والسلاح والذخيرة فى طريقها الى الارترية والسومال ؛ ولاتخفى ايطاليا الفاشستية بعد أن حشدت قواتها الزاخرة فى شرق أفريقية أنها مصممة على تنفيذ مشروعها الاستعمارى الضخم فى المنطقة الحبشية ، وأنها لاتقبل ثمناً للعدول عن غزو الحبشة أقل من بسط حمايتها الفعلية عليها ؛ أما الحبشة فانها من جانبها تشهد جـلدة متحفزة تلك الأهبة الضخمة التى تنظمها دولة قوية من دول الغرب المتمدين للبطش بها وسحقها من عداد الأمم الحرة ، وزجها إلى حظيرة الأمم المستعبدة بعد أن لبثت آماد التاريخ دولة كاملة السيادة والاستقلال

وهذا المنظر الذى نشهده اليوم هو أحد هذه المناظر العديدة التى شهدها كثير من الأمم الشرقية والافريقية الضعيفة منذ أواخر القرن الماضى ، والتى تعرف فى لغة الاستعمار الأوربى « بافتتاح إفريقية » ؛ منظر الدول الغربية الكبرى تتسابق إلى بسط حمايتها على تلك الأمم ، ثم تتقدم استعمارها واستعبادها خطوة فخطوة باسم المدنية والمصالح الاقتصادية والتهذيب الأوربى

ليس من موضوعنا أن نعرض إلى شيء من نواحى ذلك الصراع الذى سينشب فى القريب العاجل فى شرق إفريقية والذى تخوض فيه الحبشة معركة الحياة والموت ؛ ولكنا نريد أن نعرض إلى مسألة يثيرها هـذا الصراع فى الوقت الحاضر ، هى مسألة قناة السويس ونظامها الدولى فى مثل هذا الظرف ، وسنقتصر فى بحثنا على الشرح الفقهى والتاريخى المحض

***

أبدى السير نورمان آنجل الكاتب الانكليزى الكبير ، وأحد أقطاب الدعوة إلى السلام ، رأيه أخيراً بأنه إذا نشبت الحرب بين إيطاليا والحبشة ، فانه لا يجوز أن تبقى قناة السويس مفتوحة فى وجه الفريقين المتنازعين ، بل يجب أن تغلق دونهما ، وألا تمكن السفن الايطالية من المرور فيهـا ، كما أنه يجب ألا تمكن الحبشة من استيراد الذخائر عن طريقها ؛ ويستند السير آنجل فى رأيه إلى أن المعاهدات الدولية التى تكفل حرية الملاحة فى القناة أثناء الحرب والسلم معاً قد نسختها نصوص ميثاق عصبة الأمم

ولبيان ذلك نقول إن النظام الذى تخضع له قناة السويس اليوم هو نظام الحيدة الدولية المطلقة ، وهو النظام الذى كفلته معاهدة ٢٩ أكتوبر سـنة ١٨٨٨ التى وقعت فى استانبول بين الباب العالى ، وبريطانيا العظمى ، وألمانيا ، والنمسا والمجر ، وفرنسا وإيطاليا ، وأسبانيا ، وهولنده ، وروسيا ؛ ونص فى ديباجتها على أن الغرض من عقدها هو « الاتفاق الحر على نظام نهائى يكفل فى كل الأوقات ولكل الدول حرية الملاحة فى قناة السويس » . وتحتوى المعاهدة على سبع عشرة مادة تنظم شروط الملاحة فى القناة فى أوقات السلم وفى أوقات الحرب

وهذه الحيدة المطلقة للقناة وقت الحرب تنص عليها المادة الرابعة من المعاهدة فيما يأتى : « تبقى القناة مفتوحة وقت الحرب . وقد اتفق المتعاقدون أعلاه على أنه لا تفرض أية ضريبة حربية أو يعمل أى عمل من شأنه أن يخل بحرية الملاحة فى القناة ذاتها أو فى موانى الوصول إليها ، أو فى قطاع من هذه الموانى طوله ثلاثة أميال بحرية ، وهذا حتى لو كانت الدولة العثمانية هى إحدى الدول المتحاربة » . وتنص المادة السادسة من المعاهدة على « أن قناة السويس تبقى مفتوحة فى وقت الحرب شأنها وقت السلم ، لكل سفينة تجارية أو حربية ، لجميع الدول بلا تفريق . . . وتتعهد الدول الموقعة بانها لا تقوم بأى عمل لعرقلة حرية الانتفاع بالقناة وقت الحرب ، مثلما يجب ذلك وقت السلم ؛ ويجب ألا تعرض القناة مطلقاً لمزاولة حق الحصار »

على أنه يحظر على سفن الدول المتحاربة المارة بالقناة وقت الحرب ، بمقتضى نص المادة الرابعة أيضاً ، أن تتزود من المؤن فى القنال أو موانيه إلا بالقدر الضرورى ؛ ويجب عليها أن تخترق القناة بسرعة ، وألا تمكث فى موانى القناة أكثر من أربع وعشرين ساعة ؛ ولا يسمح لها بأن تنزل جنوداً أو ذخائر

إلى البر . ويمكن أن يسمح لسفينتين حربيتين ، كلتاهما بالبقاء فى ميناء الوصول ، ولكن لا يسمح لأية سفينة حربية بالبقاء فى مياه القناة »

هذه هى خلاصة النصوص التى يقوم عليها نظام المرور فى قناة السويس وقت السلم ووقت الحرب ؛ وما تزال معاهدة سنة ١٨٨٨ هى المرجع والحكم فى هذا الشأن ، وان كانت بعض نصوصها الأخرى قد ألغيت بفعل الظروف والتطورات الدولية . مثال ذلك أنه قد نص فى المعاهدة على أن تقوم الحكومة العثمانية باتخاذ ما يجب لتنفيذ المعاهدة ؛ ولكن الدولة العثمانية قد ذهبت واختفت من عالم الوجود ، وفقدت تركيا كل حقوقها القديمة على مصر بمقتضى نصوص معاهدة الصلح (معاهدة سيفر) أولاً ، ثم بمقتضى نصوص معاهدة لوزان (سنة ١٩٢٣) ؛ وهى حقوق يقضى المنطق والقانون بأن تؤول إلى مصر ؛ ولكن مصر لم يعترف لها بهذا الحق ؛ وينص تصريح فبراير سنة ١٩٢٢ الذى تعترف فيه بريطانيا العظمى باستقلال مصر ، على أن بريطانيا العظمى تحتفظ ضمن المسائل الملقية بمقتضى التصريح بمسألة المواصلات الامبراطورية ، أوبعبارة أخرى بمسألة قناة السويس ؛ ومن جهة أخرى فقد اختفت بعض الدول الأخرى التى اشتركت فى عقد المعاهدة مثل امبراطورية النمسا والمجر وروسيا القيصرية ؛ وفقدت ألمانيا بمقتضى معاهدة الصلح كل حقوقها فى مصر وفى جميع المعاهدات التى عقدتها مع مصر ؛ وفيما عدا ذلك فنصوص معاهدة سنة ١٨٨٨ ما تزال قائمة ، وما تزال إلى اليوم دستور قناة السويس

* * *

والآن لنر إلى أى مدى يمكن أن يتأثر هذا الدستور الذى يقضى بحرية الملاحة فى القناة وقت الحرب ، بنصوص ميثاق عصبة الأمم . وما يشير إليه السير آنجل من أن هذا الميثاق ينسخ دستور القناة نجده فى المادة ٢٠ من ميثاق العصبة ؛ وهذا نصها ؛ « يعترف أعضاء العصبة بأن الميثاق الحالى يلغى كل التعهدات أو الاتفاقات الخاصة التى تتعارض مع نصوصه ، وتتعهد بأنها لا تعقد فى المستقبل أية معاهدة تتعارض مع هذه النصوص » ، ولما كان دستور العصبة يقوم على فكرة السلام العام بين الأمم ، وعلى مبدأ التفاهم والتحكيم فى تسوية المنازعات التى تقع بينهما ، فان مثل هذا الدستور الذى وضع لقناة السويس منذ نحو نصف قرن ، والذى يقضى بأن تسهل حرية المرور فى القناة لسفن الدول المتحاربة ، لا يتفق مع الغاية التى تعمل لها عصبة الأمم ، وهى توثيق أواصر السلام بين الأمم ، بل يغدو بالعكس عاملاً فى تشجيع الحرب ؛ ومثل هذه النصوص التى تتعارض مع روح ميثاق العصبة يجب أن تعتبر منسوخة لاغية

ولكنا نجد من جهة أخرى فى ميثاق العصبة نصاً آخر ربما كان يناقض هذا الرأى ، فالمادة ٢١ من الميثاق تنص على « أن التعهدات الدولية مثل معاهدات التحكيم والاتفاقات الاقليمية مثل نظرية مونرو ، وهى التى يقصد بها توطيد السلم ، لا تعتبر متعارضة مع أى نص من نصوص هذا الميثاق » . فاذا اعتبرنا معاهدة سنة ١٨٨٨ داخلة فى باب التعهدات الدولية أو فى باب الاتفاقات الاقليمية وهو الأرجح ، فان ميثاق العصبة لا يمكن أن يؤثر على نصوص معاهدة سنة ١٨٨٨ . ونظرية مونرو كما نعلم هى قاعدة السياسة الأمريكية ، وبمقتضاها تعتبر الولايات المتحدة الأمريكتين منطقة نفوذ معنوى خاص ، لا يصح أن تمتد إليها يد أية دولة أوربيــة بالتدخل فى شؤونها أو محاولة بسط نفوذها الاستعمارى على أى جزء من أجزائها ، وإلا اعتبرت هذه المحاولة عملاً عدائياً موجهاً إلى الولايات المتحدة ذاتها . وكما أن النص هنا صراحة على استثناء نظرية مونرو الأمريكية قد وضع نزولا على رغبة السياسة الأمريكية ، صاحبة الفكرة الأصلية فى إنشاء عصبة الأمم ، فكذلك قد يكون النص على استثناء الاتفاقات الاقليمية هنا تحقيقاً لرغبة السياسة البريطانية ؛ وهى قد أصرت على اعتبار قناة السويس منطقة اقليمية تعلق عليها أهمية خاصة أولاً فى تصريح فبراير سنة ١٩٢٢ حيث احتفظت بمسألة المواصلات الامبراطورية ، وثانياً فى التبليغ الذى اقترن بهذا التصريح إلى الدول ، وفيه تعتبر أن التدخل فى أمر العلائق المصرية الانكليزية يعتبر عملاً غير ودى بالنسبة لانكلترا

* * *

على أن المعاهدات والنصوص وحدها لا تكفى ، وهنالك الجانب العملى ؛ واحترام هذه النصوص يتوقف دائماً على الظروف والاتجاهات السياسية . فمثلاً حينما قامت الحرب الروسية اليابانية سنة ١٩٠٤ ، وكانت انكلترا تميل فيها إلى جانب اليابان ، لم تسمح

انكلترا بفتح قناة السويس فى وجه الأسطول الروسى المسافر إلى الشرق الأقصى ، واضطر هذا الأسطول أن يطوف حول إفريقية ، وأن يسير إلى الصين من طريق رأس الرجاء الصالح ، وكان هذا السفر الطويل من عوامل انهاكه وهزيمته بعد ذلك فى موقعة تسوشيما (سنة ١٩٠٥) وخسران روسيا للحرب ، هذا مع أن روسيا إحدى الدول الموقعة على معاهدة سنة ١٨٨٨ كما قدمنا . وفى الحرب الكبرى لم تحترم حيدة القناة ولم تحل المعاهدة الدولية دون تحصينها واغلاقها فى وجه الدول المعادية لانكلترا ودول الحلفاء ؛ وقد استأثرت انكلترا وحلفاؤها أثناء الحرب باستعمال القناة ؛ ومن جهة أخرى فان ألمانيا وتركيا لم تحترما من جانبهما حيدة القناة ، ونظمتا سنة ١٩١٥ أكثر من هجوم محلى على مصر من جهة القناة ، وضربت شواطئها بالقنابل المخربة ؛ واستمرت طوال الحرب منطقة حربية محضة تستأثر انكلترا بالاشراف عليها

وكذلك لا نستطيع فى الظروف الحاضرة التى يحلق فيها شبح الحرب فى شرق افريقية أن نقف عند المعاهدات والنصوص فى تقدير الدور الذى يمكن أن تؤديه قناة السويس فى اذكاء هذه الحرب أو وقفها ؛ فايطاليا تستعمل القناة بملء الحرية لارسال الجند والذخائر إلى شرق افريقية ؛ فاذا نشبت الحرب بينها وبين الحبشة فماذا يكون شأن القناة ؟ هل تظل مفتوحة أثناء الحرب لمرور الأمداد الايطالية ، أو تغلق فى وجهها ؟ إن معاهدة سنة ١٨٨٨ صريحة كما بينا فى وجوب فتح القناة وضمان حرية الملاحة فيها أثناء الحرب بالنسبة للفريقين المتحاربين ؛ ولكن النصوص وحدها لا تكفى هنا . وكل شىء يتوقف على ظروف العلائق بين انكلترا وإيطاليا ؛ فاذا كانت هذه العلائق مما يسمح بتأييد السياسة البريطانية لمشروع إيطاليا فى غزو الحبشة ، فان القناة ستبقى مفتوحة حرة ؛ وإذا كان لدى السياسة البريطانية ما يحملها على الوقوف فى وجه مشاريع إيطاليا ، فقد تغلق القناة بالاستناد إلى ميثاق عصبة الأمم أو غيره من الأسانيد والنصوص

وعلى أى حال فان المسألة فى منتهى التعقيد والدقة ، وأمرها مرهون بالظروف والمفاجآت التى قد تثيرها الحوادث دون توقع أو تقدير

محمد عبد الله عنان

مات الشيخ بدر الدين !

للأستاذ على الطنطاوى

اليوم انقطعت رواية الحديث :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا

أخرجه البخارى ومسلم والترمذى

كان أقل مزايا الشيخ بدر الدين الحسنى أنه يحفظ صحيحى البخارى ومسلم بأسانيدهما ، وموطأ مالك ، ومسند أحمد ، وسنن الترمذى وأبى داود والنسائى وابن ماجة ، ويروى لك منها ماتشاء كأنه ينظر فى كتاب ؛ وأنه يحفظ أسماء رجال الحديث وماقيل فيهم ، وسنى وفاتهم ، ويجيبك عما شئته منها ، وأنه يحفظ عشرين ألف بيت من متون العلوم المختلفة كالألفية والزبد والشاطبية والطيبة الخ ... وأنه ألف نحواً من خمسين مؤلفا قبل أن يتجاوز عمره الثلاثين ؛ وأن له اطلاعا فى كافة العلوم حتى الرياضيات العالية فقد أقرأها لطلاب شعبة الرياضيات فى المدرسة التجهيزية فأدهشهم وأدهش باطلاعه معلميهم ؛ وأنه ما انقطع عن الدرس والتدريس يوما واحداً منذ سبعين سنة على زهادة عجيبة ، وورع نادر ، وترفع عن الدنيا ولذاذاتها مع الغنى الواسع والمال الكثير ، وهو على الجملة آخر علماء السلف الصالح رضى الله عنهم .

مر على دمشق فى هذه السنين العشرين ، من جليل الحوادث وفادح الخطوب ، ما لو مر على الشامخات الرواسى لجعلها دكا ، أو وقع على الجلاميد الصم لصيرها هباء . فأعدت له الايمان الذى لا يزلزله رزء ، والثبات الذى لا تزيله مصيبة ، وصبرت عليه « صبر العظيم على العظيم » . . . حتى تعودت مس الضر ، وألفت قوارع الدهر

« وصارت إن أصابتها » سهام   تكسرت النصال على النصال

وغدا أبناؤها لطول ما رأوا من البلاء ، وما راضوا نفوسهم عليه من الصبر ، لا يألمون لمصيبة ، ولا يجزعون لنائبة ، ويهتفون بالزمان كلما تعب من مساءتهم ، فأقلع عن ايذائهم :

إن كان عندك يا زمان مصيبة   مما تسوء به الكرام فهاتها

***

نكبت دمشق الحرب ، فقلت الأقوات ، حتى أكل الناس

المشب . . . وباد الرجال : مَنْ لم يمت منهم برصاص الانكليز والفرنسيين ، ومن لم يمت من الجوع ، مات على مشانق جمال باشا ، حتى لم يبق فى دمشق إلا شيوخ ركّع ، ونساء جُوّع ، وأطفال رضّع . . .

فشيعت دمشق من مات ، وحدبت على من بقى ، ماخارت ولاجزعت . . . « وصبرت دمشق » !

ثم كانت « مَيْسَلون » فذبح « العُمْروط الأفّاق » ربّ البيت ، واستباح الحمى ، وأراد أن يعدو على سليلة الشرف ، وبنت الأكرمين ، فصدّته أروع صدّ ، فأتى على الديار فجعلها حصيداً ، كأنْ لم تَغْنَ بالأمس ؛ وعادت دمشق من ميسلون ، فاذا كل شىء قد انهار ، وإذا الدار قواء ، كأنما لم يشد فيها مُلك ، ولم تقم فيها دولة ، ولم يكن لها استقلال . . .

فدفنت دمشق بيدها أبناءها ، وأقسمت على قبورهم « القسم الأحمر » ومابكت ولاشكت . . . « وصبرت دمشق » !

ثم كانت الثورة ، فهبت دمشق تعلن فى أبنائها بأن قد جاء « الامتحان الأول » فأرونى ماذا حفظتم من الدرس . . .

وكان الامتحان فى دقّ الباب (١)

فدقه الأبطال من أبناء دمشق دقاً ضوضى (٢) على جوانب السين ، فثار الناس فزعين يقولون : ماذا ؟

قيل : بردى يشتعل ! . . . قالوا : أطفئوه بالنار !

فكانت المعركة بين الماء والنار . . . بين الدم والحديد . . . فردّ الفتية العُزّل الجيش اللجب ، فوقف سنتين دون نهر تورا لايجتازه ، وما عرضه بأكثر من « ستة أمتار »

ثم انتهى الامتحان ، فدفنت دمشق أبناءها ، وقامت دمشق المفجوعة على أنقاض دمشق المحرّقة المهدّمة فجدّدت القسم ، وكانت ميسلون فصارتا ميسلون والغوطة . . . . . . « وصبرت دمشق » !

ثم كان يوم (٢٠) كانون ، فأعلنت دمشق أن قد جاء

(١) قال أمير الشعراء رحمه الله :
« وللحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق »
فذلك هو الباب . . .
(٢) أى كانت له ضوضاء

الامتحان الثانى ، وكان الامتحان فى فتح الصندوق (١)

فقالت القوة : لا ! وقال الحق : نعم !

فكانت المعركة بين القوة والحق ، فانتصرت نعم ، وكسر الصندوق ، ودفنت دمشق أبناءها ، وجددت القسم ، وصرن ثلاثة : ميسلون والغوطة والمرجة ! « وصبرت دمشق » !

صبرت دمشق ، ولم تجزع ولم تضطرب ، ولم تقلقها هذه الحادثات ولم تبكها ؛ ولكن كلمة واحدة سرت أمس فى دمشق ، فتقلقلت لها دمشق واضطربت ، وخفّت منها الأحلام ، وضلّ عنها الصبر ، فلم تعد تطيق صبراً ، فانفجرت تبكى فى نكبة اليوم النكبات كلها !

تلك هى الكلمة الرهيبة : مات الشيخ بدر الدين . . . .

***

كان الشيخ سرّ قوة دمشق ، تلجأ اليه كلما دهمتها الخطوب ، فتفىء منه إلى جنة وارفة الظلال ، وتفزع اليه كلما حاق بها اليأس ، فتجد عنده الأمل الباسم الذى يشق طريقاً للحياة وسط شعاب الموت ، والثقة بالله التى تسمو بصاحبها حتى يجتاز العقبات كلها طائراً بجناحين من الشجاعة والثبات

وكانت كلمات الشيخ كأنما هى السحر ، ينصب فى أعصاب الشاميين إذ يسمعونها ، فيقدمون لايهابون شيئاً ، كذلك الذى شرب ماء الحياة فلا يبالى -- وهو لن يموت ! — أىّ أودية الموت سلك !

وكان الشيخ رمز العصور الذهبيـة الأولى ، وصفحة حية من تاريخ المجد الاسلامى ، وآية من آيات الله قامت فى هذه الأيام المظلمة لتنيرها بنور الصـدر الأول ، كما ينير البدر الليل الداجى بنور الشمس المشرقة ، ولكنّ ذاك بدر الدنيا ، وهذا « بدر الدين » !

وكانت غرفة الشيخ فى دار الحديث حمى قد حماه الله بهيبة العلم ، وحجبه بجلال الاخلاص ، فهى من دمشق الأموية أو العباسية ، أو دمشق صلاح الدين ، لا من دمشق « القرن العشرين » ، وقفت عند عتبتها سطوة جمال باشا ، وقوة الانتداب فلم يجتزها منهما شىء ؛ وكان يجيئها أبداً العتاة الجبارون الذين

(١) قيل : هو صندوق الانتخاب

يخشاهم البلد ، ويجرى حكمهم لا يرده أحد ، فكانوا جميعاً من بشاوات وموسيوات . . . يخلعون نعالهم بأيديهم ، ثم يدخلون مطأطئى رءوسهم حتى يجلسوا على ركبهم بين يدى الشيخ ، خاشعة أبصارهم ، ترهقهم ذلة ، ثم لا يتكلمون إلا أن يسألهم ، أو يأذن لهم بالكلام ، وربما أعرض عنهم ، وربما وعظهم أو علمهم ، ولا يقول لهم إلا كلمة الحق ، ولا يكلمهم إلا بلسان عالم من دمشق صلاح الدين !

فكان الشاميون حين يرون هذا لا يبالون ، وفى دار الحديث هذا الجيش ، بما كان فى دمشق من جيوش ودبابات وطيارات .. أفليس عجيباً أن هذا الشيخ الهم ّ ابن التسعين ، قد :

سدّ الطريق على الزما ن وقام فى وجه الخطوب !

***

والشيخ لا جرم نسيج وحده فى هذا العصر ، وهو بقية من المحدثين الأولين الذين ألّفوا بسيرهم تاريخ المسلمين العلمى ، أجل تاريخ علمى كتب أو يكتب إلى يوم القيامة . فقد لبث سبعين سنة ، يشتغل بالدرس والتدريس والتقوى والعبادة ، على خطة معروفة ، وسنة مألوفة ، ما تبدلت يوماً ولا تغيرت ، إلا لمرض مقعد ، أو أمر قاهر ، أو سفر لازم ؛ وقد بلغ من ثبات الشيخ وحسن ظنه بالله عز وجل انه كان[1] مرّة فى قطار الحجاز فوقف القطار فى عرض البادية لشىء طرأ عليه ، (وقد رأينا هذه البادية فاذا هى رمال ملتهبة ، وشمس محرقة ، ولا شىء سواها) فنزل بعض القوم يصلون ، ونزل الشيخ ، فلما أحرموا بالصلاة وكادوا يركعون ، صفر القطار ، فانفضوا إليه فتعلقوا به وتركوا الشيخ قائماً . وسار القطار ؛ (قال الراوى) فنظرت إليه فلا والله ما التفت ولا تحرك ، فكدت والله أجنّ ، وأقبلت على من بيدهم أمر القطار فرجوتهم أن يقفوه فأبوا ، فسقطت على قدمى كبيرهم حتى لان فأمر بالقطار فتقهقر حتى وقف على الشيخ فاذا هو جالس لم يسلّم ، فلما سلم قام فركب ، وما يبالى بانقطاعه فى البادية ، ولا بالموت الذى يحوم حوله ، ما دام قائماً بين يدى رب الأرض والسموات ، ومن بيده الموت والحياة

***

لبث سبعين سنة يفيق إذا عسعس الليل[1] ، فيصلى ماشاء الله أن يصلى ، فيشعر بلذة العبادة ، ويحسّ حلاوة الايمان ، ويسمو بنفسه عن الدنيا ولذاتها حتى يحقرها وتهون عليه ، فيصبح وهو يطير بنفسه فى سموات الجنان والناس يمشون فى حضيض الأرض

ثم يمضى إلى الجامع الأموى فيصلى الصبح مع الجماعة ، فى مكانه الذى لم ينقطع عنه ثلاثة أرباع القرن ، وربما ثبت عليه أكثر من ذلك ، فقد جاوز رحمه الله التسعين ، فاذا قضيت الصلاة عاد إلى غرفته ، فلبث يقرأ ويقرىء إلى ما بعد العتمة ، إلا أن يكون يوم الجمعة فيجلس للدرس العام يحدث الناس تحت قبة النسر من الظهر إلى العصر ، لايسكت ولايتنحنح ولايقف ؛ يبدأ بحديث فيرويه مسنداً ، ويستقرىء طرقه كلها ، ويتحدث عن رواته ، ثم يذكر شواهده من الكتاب والسنة ، فلا يروى حديثاً إلا رفعه ، ولا كلمة إلا عزاها ، ثم يذكر ما أخذه منه الفقهاء من الأحكام ويوازن بينها ، ويبسط الكلام فيما يتصل بذلك من الفلسفة والتصوف والعلوم ، وكان الشيخ فى الفلسفة الاسلامية منقطع النظير

وطالما حضر هذا الدرس جلة علماء دمشق ومن يزورها من علماء الأقطار ، فخرجوا معجبين مكبرين ؛ وطالما حضره الأطباء والمحامون وأهل الفلسفة والطبيعة ، فخرج كل وقد امتلأ وطابه من وسائل الفن الذى يشتغل به ، أو العلم الذى انقطع إليه

وكان يمضى الدرسان والثلاثة ولم يتعد الشيخ شرح حديث واحد

ولم يكن يردّ سائلاً ، أو طالب علم ؛ وكان يوليه ماشاء من وقته ووجهه ؛ وكان إذا استفتى قال للسائل ، انظر كتاب كذا ، وكتاب كذا ؛ وربما دله على الصفحة التى يجد فيها المسألة ، لا يحبّ أن يفتيه هو

وكان يصوم الدهر ، فاذا كان المساء أكل ما قدم إليه ، ولم يعرف عنه فى سفر ولا حضر انه اشتهى طعاماً أو كرهه إلا مرة كان فى سفر ، فقيل له : ما نطبخ ؟ فقال : ما شئتم !

قالوا : عندنا بامياء وفول وعدس . . . .

(١) حدث بهذه القصة رجل كبير كان شاهدها

(١) وذلك قبل السحر

قال : هل قلتم إن عندكم فولاً ؟

ففهموا أنه يشتهيه ، ولم يروعنه فى هـذا الباب أكثر من هذا . ولم يكن يشتم رجلاً أو يغتابه ، ولم يكن يدع أحداً يغتاب فى مجلسه ، وكان غاية تأنيبه إذا غضب أن يقول :

— « بابا — وكانت تلك كلمته — لمـاذا أنتم هكذا ؟ »

***

تواضع لله ، فأناله الله رفعـة ما أنالها سلطاناً ولا ملـكا ، وانصرف عن الدنيا فأقبلت عليـه الدنيا ، ودر عليـه المـال وما مسه ولا مد إليه يداً ، واعتزل الناس ورغب عن الجاه ، فأقبل عليه الناس ، ورغب فيه الجاه ، فما غـيره ولا أقام للجاه وزناً ، وابتعـد عن الحكام ، فتزلف إليه الحكام ، ووضعوا بين أيديه دنياهم فما حاد عن دينه ولا رزأهم دنيا ، ولا كتمهم نصحاً ...

عاش فكانت حياته أعظم حياة ، ومات فكان موته أفخم موت[1] . وكيف لا يكون فخما ، وقد كان الشيخ دولة وحده ، وقد كان تاريخاً ، وقد كان مجموعة كاملة من الفضائل كلها ، تأكل وتشرب وتمشى ؟

***

رحمك الله يا أيها الامام العالم العظيم ، ورزق دمشق الصبر على فقدك ، وعوّض منك المسلمين خيراً ...

فقد كنت بدراً للديانة مشرقاً   وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

على الطنطاوى

(١) وكنا على أن نصف الجنازة التى مشى فيها مائة وخمسون ألفاً ، ولم تر دمشق مثلها ، فضاق عنها هذا الفصل ، ولعله لا يضيق إن شاء الله عنها فصل آت .

الشعر الوطنى فى الأندلس

للأستاذ عبد الله كنون الحسنى

كثر الشعر الوطني عنـد العرب فى العصر الحديث كثرة عظيمة حتى طغى على غيره من الأغراض الشعرية ، فأصبح لا يكاثره غرض آخر منها . وما ذلك إلا لأن البلاد العربية كلها قد مزّق الاستعمار شملها ، فأصبح أهلها خاضعين للنير الأجنبى يتشوّقون ليوم الحرية تشوق الظمآن للماء البارد ؛ فهم تارة يتغنون بالنصر الباهر الذى يكسبونه فى موقعـة ذلك اليوم ، وتارة يستعرضون مواقف المجد والبطولة فى تاريخهم الأدبى والحربى ، فيثيرون بذلك شعور مواطنيهم للسعى إلى تقريب أمد ذلك اليوم الذى تشرق شمس الحرية فيه على ربوعهم فيعود اليها مافقدته من العز والعظمة ، وتارة ينعون على قومهم تخاذلهم وقعودهم عن حرب العدو المغير على أوطانهم ، لافتين أنظارهم إلى ما يسومونهم من الخسف والعذاب ، وما يبتزونه من أموالهم وخيرات بلادهم

وأخيراً ، وعلى هذا المنوال ، تكوّن الشعر الوطني فى العربية ، وأصبح فى المقام الأول من أغراضـه الشعرية ، تخلف بذلك المديح الذى كان يحتل هذا المقام من قبل

ونحن إذا رجعنا إلى ما قبل العصر الحـديث من العصور المختلفة وقلبنا تطورات الشعر العربى فى تلك العصور ، لم نجـد للشعر الوطنى ذكراً ولا أثراً بين أقسام الشعر ، ولم نعثر على ما يفيد أن هـذه الظاهرة التى غلبت على الشعر العربى اليوم أمكنها فى عصر من العصور أو طور من الأطوار أن تظهر ، بَلْه أن تغلب على شعر شاعر من العرب أو من غير العرب فيمن نظم بالعربية ، فتجرف غيرها من الظواهر وتكون هى المسيطرة على كثرة أشعار الشعراء كما هو الحال اليوم . ولذلك لما قال ابن الرومى أبياته المشهورة فى هذا المعنى كانت عنقاء مُغرب الشعر الوطنى ، فتداولتها الألسنة وأصبحت مثلاً يُضرب فى طبيعة حب الناس لأوطانهم ، وتلك الأبيات هى :

ولى وطن آليت ألا أبيعه   وألا أرى غيرى له الدهرَ مالكا
وحبب أوطانَ الرجال إليهمُ   مآرب قضّاها الشباب هنالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها ، فحنوا لذالكا

ولا نعني بالشعر الوطني ما كان من قبيل العواطف المجردة عن المعاني المذكورة كهذا الذى يكثر قوله فى بلاد الغربة تشوقاً إلى معاهد الأحباب ومواطن الشباب ، فان هذا قد زخرت به العربية قديماً وحديثاً ، ولم يخل عصر من أعصارها من لدن الجاهلية إلى الآن عن قوله والمكثرين منه . وما أشعار نجد والحجاز والعقيق ورامة وغيرها إلا بعض من كل ، وقُل من جل ، مما يتمثل فيه هذا اللون من الشعر العاطفى أحسن مثال . ولكن ما نعنى هو الشعر الوطنى بمعناه الشائع الذى يصطبغ بالفكرة السياسية التى ألمعنا اليها من قبل ؛ وهذا هو الذى يصح القول فيه أنه وليد التجديد الأدبى فى العصر الحديث ، وأنه لم يكن له وجود فى العصور المتقدمة التى ازدهرت فيها الآداب العربية سواء فى شبه الجزيرة نفسها ، أو فيما اصطنع لغتها من البلدان بعد إشراق نور الإسلام فيها — اللهم إلا هذا القطر الأندلسى الذى عقمت الأيام أن تلد مثله فى رقيه وحضارته ، فانه لا بد أن يستثنى من العموم

ذلك أن عرب الأندلس الذين تقدموا الزمن بكثير فى النضوج العلمى لم يجز أن يتخلفوا عنه فى الاحياء الأدبى ، فطلعوا على العالم العربى بالتوشيح الذى لم يستطع التجديد المصرى حتى الآن أن يأتى بما يشبهه من حيث التأثير البليغ فى تحرير الشعر من قيود البحور والقافية الثقيلة ، وقد حاول المشارقة أن يأتوا بشىء فى هذا الصدد فاستظهروا بالدوبيت ، والكان وكان ، والقوما وغيرها ، ولكنه كان شيئاً غريباً عن الذوق العربى غرابة هذه الكلمات فى اللغة العربية ، وكذلك قالوا الشعر الوطنى وأكثروا منه وتفننوا فيه ، فانفردوا به عن سائر الشعوب العربية ، وسبقوا اليه الأجيال الحديثة ، وكان إحدى مآثرهم الجليلة فى النهوض بالأدب العربى من وجه عام

ولقد كان باعثهم عليه هو نفس ما بعث إخوانهم اليوم من تكالب دول النصرانية عليهم وإذلالها لهم فى عقر بلادهم ، ولذلك لم يوجد فى عهد الفتح وعهد الأمويين إذ أمرُ العرب مقبلٌ وشملهم جميع ، وإنما وُجد بعد أن ضعف لسانهم ودالت دولتهم وصاروا يشهدون سقوط ممالكهم الواحدة بعد الأخرى ، وحصون بلادهم فى قبضة العدو فلا ترجع اليهم أبداً ؛ وعرفوا الغاية التى اليها يسيرون ، والمصير الذى منه يقتربون ، فاشتد رعبهم وهلعت قلوبهم ، فبكوا واشتكوا ونظموا الأشعار الوطنية فى تحميس الناس للدفاع عن حقيقتهم والاستماتة فى صون كيانهم ، معرضين بما يؤول اليه أمرهم هناك من الذل والاستكانة وطمس معالم الحضارة والدين

ولقائل أن يقول إن مثل هذه الأحوال قد صارف بلاد المشرق ولا سيما فى عهود الحروب الصليبية يوم سلبت من الأمبراطورية العربية أثمن درة فى تاجها : مصر وبلاد الشام ، ومع ذلك فلم تتفتق قرائح الشعراء هناك بالشعر الوطني ولم يظهر منهم من جال فى ذلك الميدان ، فما السبب فى ذلك ؟ لعل للعجمة التى كانت قد بدأت تعقل اللسان العربى فى ذلك العهد من جراء ظهور سلطان الأعجام فى بلاد العرب وضعف الانتاج الأدبى تبعاً لذلك ، تأثيراً مباشراً فى عدم ظهور هذا النوع من الشعر فى بلاد الشرق وإن وجدت البواعث . على أن هذه الأحوال وإن لم تبعث على قول الشعر الوطني كانت السبب فى ظهور فن من فنون الأدب لا يقل خطراً عن الشعر مطلقاً وهو فن القصص ، فان من المعلوم أن كثيراً من هذه القصص الحماسية كعنترة وسيف بن ذى يزن وغيرها إنما وضعت فى هذا العهد الصليبى ، وفى مصر بالخصوص ، لتضرب للناس أمثلة من الشجاعة العربية يخلق بهم أن يحتذوها فى صد هجمات المغيرين من ذئاب الغرب على بلاد الاسلام ، وهى وإن كانت عامية التأليف تدل على أن المشرق لم يقف واجماً بازاء تلك الحوادث الكبرى وإن لم يهتد إلى الشعر الوطنى كما اهتدت اليه الأندلس !

ونقفك الآن على نماذج من الشعر الوطني الأندلسى لترى أنه لا يكاد يتميز عن الشعر العصرى الوطنى فى وصف من الأوصاف . ولا ننقل لك شيئاً من قصيدة صالح بن شريف الرندى فى رثاء الأندلس ، وإنما نشير اليها فانها شهيرة لا تخفى على تلاميذ المدارس الابتدائية الاسلامية !

فانظر إلى هذه القطعة للأديب أبى عبد الله الفازازى يصف فيها الفوضى الغاشية على بلاد الأندلس وتخاذل أهلها عن الدفاع عنها بل وإعانة الأعيان منهم على خرابها ! ويستشف من الغيب المآل الذى تؤول اليه إن دامت على تلك الحال ، فيسأل الله

تعالى أن يلطف بعباده ويرحمهم :

الرُّوم تضربُ في البلادِ وتغنمُ ... والجورُ يأخذُ ما بقي والمغرمُ
والمالُ يورد كله قشتالةً ... والجند يسقط والرعية تُسْلَمُ
وذوو التعيش ليس فيهم مسلمٌ ... إلا معين في الفساد مُسَلَّمُ
أسفي على تلك البلاد وأهلها ... الله يلطفُ بالجميع ويرحم

وانظر إلى هـذه القطعة أيضاً لأبي المطرف بن عميرة يقف فيها موقف اليائس البائس يمتنع حتى عن الاستسقاء لبلاده ، ويتساءل في حزن وحقد كيف يمكن أن يدوم وداده لهذه الديار ، التي ألفت بطاعتها للأغيار :

زدنا عن النائين عن أوطانهم ... وإن اشتركنا في الصبابة والجوى
أنا وجدناهم قد استسقوا لها ... من بعدما شطَّت بهم عنها النوى
ويصدنا عن ذاك في أوطاننا ... مع حبها، الشركُ الذي فيها ثوى
حسناء! طاعتها استقامت بعدنا ... لعدونا ، أفيستقيم لها الهوى ؟

وله أيضاً يشير إلى انتقاله من بلد إلى بلد لاستيلاء العدو على البلاد واحدة فواحدة ، من قصيدة طويلة :

كفى حزناً أنّا كأهل مُحَصَّبٍ ... بكل طريق قد نفرنا وننفر

واستمع إلى هذين البيتين اللذين قيلا في أهل بلنسية ، وما أكثر انطباقهما علينا اليوم :

لبس الحديدَ إلى الوغى ولبستمُ ... حلل الحرير عليكمو ألوانا
ما كان أقبحهم وأحسنكم بها ... لولم يكن ببَطَرْنَة ما كانا!..

ولابن الأبار من قصيدة طويلة يخاطب بها السلطان أبا زكريا ابن أبي جعفر صاحب أفريقية :

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا ... إن السبيل إلى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست ... فلم يزل منك عز النصر ملتمسا
يا للجزيرة أضحى أهلها جزراً ... للحادثات وأمسى جدّها تعسا
في كل شارقة إلمام بارقة ... يعود مأتمها عند العدا عُرُسا
بالمساجد عادت للعدا بِيَعاً ... وللنداء غدا أثناءها جرسا
لهفي عليها إلى استرجاع فائتها ... مدارساً للمثاني أصبحت دُرُسا

وقصائد الاستنجاد بملوك العدوة كثيرة ، يستدعي إيرادُها أو الاشارة اليها فصولاً ، ولكن لا بأس بإيراد شيء من قصيدة في هـذا المعنى لابراهيم بن سهل الاسرائيلي ، وهي كافية للدلالة على قوة العاطفة الوطنية عند أهل الأندلس ، لأن هـذا الجنس من الناس ملموزٌ بضعف هذه العاطفة ، فصدور هذه القصيدة عن فرد منه دليل على ما قلنا :

وِرْداً فمضمونٌ نجاح المصدرِ ... هي عزة الدنيا وفوز المحشر
يا معشر العرب الذين توارثوا ... شيم الحمية كابراً عن أكبرَ
إن الإله قد اشترى أرواحكم ... بيعوا ! وهنيكم وفاء المشتري
أنتم أحقُّ بنصر دين نبيكم ... وبكم تمهد في قديم الأعصر
أنتم بنيتم ركنه فلتدعموا ... ذاك البناء بكل لدن أسمر
لكم عزائم لو ركبتم بعضها ... أغنتكم عن كل طرف مضمر
الكفر ممتد المطامع والهدى ... متمسك بذناب عيش أغبر
والخيل تضجر في المرابط غيرة ... ألاّ تجوس حريم رهط الأصفر
كم نكروا من معلم ، كم دمّروا ... من معشر ، كم غيروا من مشعر !
كم أبطلوا سنن النبي وعطلوا ... من حلية التوحيد صهوة منبر!
أين الحفائظ ما لها لم تنبعث ؟ ... أين العزائم ما لها لا تنبرى ؟
أيهز منكم فارس في كفه ... سيفاً ودين محمد لم ينصر ؟

ونختم هذه الكلمة بتنبيه قومنا إلى تاريخ هـذه الفاجعة العظيمة فان فيها عبرة لمن يعتبر

(طنجة) عبد الله كنون الحسني

عمـــل عظيم

للأستاذ محمد بك كرد على

لو كل بلد اسلامى قام بواجبه قيام المسلمين فى مدينة بيروت ثغر الشام ، لاضمحلت الأمية علة العلل فى هذا المجتمع ، ولزاد فى بنيه عدد المتعلمين وأرباب الصنائع ، وعلى تلك النسبة كانت تزيد الثروة والرخاء ، ولنجا المسلمون من مشاكل كثيرة ، وبرئوا مما يتهمهم به أعداؤهم من أن دينهم لايفسح لهم مجالاً للنور والثقافة

أسس المسلمون فى بيروت فى سنة ١٢٩٦ هـ جمعية دعوها جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية ، وعنيت مدة بتعليم النشء الجديد يومئذ ، ثم طرأت عليها طوارىء شلت حركتها ، ومن أهمها أن الحكومة العثمانية ما كانت تحب استرسال المسلمين فى سبل التعليم ، على حين كانت تتغافل عن المسيحيين يتعلمون فى مدارسهم الطائفية ومدارس المبشرين ما شـاءوا وشاءت دول الاستعمار

ولما انتدبت فرنسا على الديار الشامية بعد الحرب العامة ، كان أول ما فكر فيه المسلمون اعادة جمعية المقاصد الخيرية الملغاة ، خصوصاً وقد رأوا كلمة التبشير تقوى ، فهبوا الى التذرع لاحياء جمعيتهم فى سنة ١٣٣٨ هـ وأخذوا يجمعون أموالاً ، واستوهبوا أرضاً عظيمة من الأوقاف أقاموا عليها مخازن وحوانيت ومقاهى ، فكان لهم منها بأخَرَة ريع لايقل عن عشرة آلاف ليرة عثمانية ذهباً فى السنة يدخرون نحو ثلثها مالاً احتياطياً ، ولا يفتأون كل عام يجمعون مبلغاً تنتظم به مالية جمعيتهم

وجعل أولئك العاملون هدفهم الأسمى انشاء مدارس لتربية البنين والبنات ، وتثقيفهم بالثقافة الحديثة التى تنطبق على التعاليم الاسلامية ، واعدادهم ليكونوا عاملين منورين أقوياء فى عقيدتهم الدينية والقومية ؛ وزادوا فى مناهج البنات على مناهج البنين — والعلوم النظرية واحدة فى جميع مدارسهم — دروساً عملية فى تدبير المنزل ، تتناول الطبخ ، والخياطة على اختلاف أنواعها ، والأشغال اليدوية ، والرسم ، والموسيقى ، وتربية الأطفال

أصبح لهذه الجمعية فى مدينة بيروت سبع مدارس للذكور والأناث ، منها مدرستان ثانويتان ، إحداهما للصبيان والثانيـة للفتيات ، أطلق على كل واحدة منهما اسم « كلية » . وقد نجح تلاميذها فى السنة الغابرة نجاحاً باهراً ، وكان فيهم ثلث من نجحوا فى الجمهورية اللبنانية فى احراز شهادة البكلوريا ؛ هذا وبيروت مدينة المدارس ، ومنها ما يردُّ عهد تأسسه الى ستين أو سبعين سـنة . وبلغ مجموع ما فى مدارس البنين والبنات فى بيروت فى سـنة ١٩٣٤ — ٣١٣٠ طالباً وطالبة ؛ وللجمعية عناية فائقة بمدارس رياض الأطفال

ساهم المسلمون على اختلاف درجاتهم فى الثروة فى قيام هذه المدارس ، يمدونها بما تصل اليه أيديهم من المال كل سنة ، وكانت مدارسهم فى هـذه الأزمة الخانقة أقل دور العلم تأثراً بالحالة الاقتصادية والمالية ، ذلك لأن مدارس الجمعية تدار بأيدٍ رشيدة ، لا يسرف فى مالها أيام الرخاء ، ويراعى فى الانفاق العام الحاضر كما تراعى الأعوام المقبلة

ولما رأت الجمعية أن التبشير يسرى بسرعة فى القرى الاسلامية من عمل بيروت هبت لجنة من أعضائها وغيرهم بمعاونة الجمعية نفسها ، وكوّنت لها رأس مال وبدأت بانشاء المدارس فى القرى فى سنة ١٣٤٠ هـ فـكان لها منها الآن ثنتان وأربعون مدرسـة فيها ما يربو على الألفى طالب وطالبة يتلقون التعليم الابتدائى الصحيح على منهاج التعليم فى الجمعية

ولم تـكتف جمعية المقاصد بما أتت ، بل عمرت لها فى بيروت مستشفى ذا طبقتين يحتوى على اثنتين وثلاثين غرفة ، منها ماهو بمساحة مائة وعشرين ذراعاً مربعاً ، وجهزته بستة وسبعين سريراً ، وبلغ ما أنفق على بنائه ٢٫٣١١٫١٥٩ غرشاً سورياً أو نحو أربعة آلاف ومائتى جنيه عثمانى ذهباً ، ونشطت المدارس الأهلية الأخرى وعاونتها ، وتولت رجالها مراقبتها وإرشادها ، ورممت بعض المساجد فى الحاضرة والضاحيـة ، ومنحت معاونات لمن يريد التخصص فى مدارس الشرق أو مدارس الغرب ، وعاونت حفظة القرآن وسهلت سبل اتقان حفظه ، كما بسطت يد معونتها للمولعين بالفنون الجميلة إلى غير ذلك

هـذه الأعمال الجليلة قامت بقروش قليلة جمعت من أهل البر والخير جمعها الغُـيُر على أبناء دينهم ، فتألف منها رأس مال لايستهان به ؛ وبهذه الصورة يكافح البيروتيون الأمية ، ويرجعون إلى حظيرة الدين من كانوا على وشـك أن ينسلخوا منه ، وكل

ذلك بمعاونة المستنيرين من المسلمين وفضل رئيس الجمعية عميد بيروت وعين أعيانها عمر بك الداعوق الذى كانت طريقته وطريقة أعوانه أن يعملوا ولا يقولون ، ويبذلون مالهم ووقتهم ولا يمنون ولا يتبجحون

قرت العيون بهذا العمل الخطير الذى كان سداه الاخلاص ، ولحمته حب الدين والمدنية ، فدفعت جمعية المقاصد الخيرية أبناء أمتها خطوة إلى الأمام ، وغدا الأمل بالمستقبل أعظم من الماضى ، فى محيط تنفق فيه مدارس التبشير للأميركان والفرنسيين وغيرهم عن سعة ؛ وقلّ فى الشرق الأدنى بلد ظهر فيه نشاط المبشرين ظهوره فى هذه القطعة الصغيرة من الديار الشامية ؛ وقل أن كتب لبلد قاوم المبشرين بمثل سلاحهم كمدينة بيروت . ونعود فنؤكد لو أن كل بلدة حذت حذو النابهين من أبناء بيروت لقضى مع الزمن على الأمية فى المسلمين . وجوهر كل نهضة فى عقول الرجال ، ولا نجاح فى الأعمال لغير المخلصين المثابرين

دمشق — محمد كرد على

دولة المماليك فى حكم التاريخ

للأستاذ ظافر الدجانى

لعل تاريخ الشرق الأدنى فى عهد الحكومة الاسلامية أحفل التواريخ بما يملك على النفس جوانب الفكر والخيال ، ويوحى إليها أبلغ ضروب الحكمة والموعظة ، لأنه كان مسرحاً لظهور بعض الدويلات الاسلامية الغريبة فى نشوئها ومظاهر حكمها ومبلغ تأثيرها فى مجرى تاريخه العام[1] ولعل أغرب هذه الدويلات ، دولة المماليك فى مصر ، التى اختلست من الدهر ما يزيد على خمسين ومائتى سنة ، كان المملوك فيها مالكاً والمغلوب غالباً ، فكان يتخللها من المؤامرات والدس وأهوال الاستبداد مالا نظير له فى تاريخ المجتمع البشرى . على أنها والحق يقال ليست أول محاولات هذه الطائفة البشرية لاغتصاب الحكم والاستبداد به والانتقام من الجنس الانسانى عامة لما ألحقه بها من ضروب الفظاعة والقساوة ، فقد شهد تاريخ رومة الخالد ، قبل ظهور النصرانية ، كثيراً من هذه المحاولات الجامحة التى باءت جميعها بالفشل والخذلان بعد أن روعت المعالم وضربت له مثلاً صارماً فيما يستطيعه أبناء المماليك ، بل أبناء كل طائفة مظلومة ، فى ميدان التمرد والانتقاض ومقايضة الجور والأذى الصاع منهما بصاعين . ولعل هذه الدولة كانت أكبر انتصار أحرزته هذه الطائفة ، بل لعلها أروع مظهر لجموح أخلاقها ، وتمدد الخوالج التى كانت تتجاذب نفوسها وتتنازعها إلى مسالك الخير والرجولة وجلائل الأعمال ومفاوز الشر والجريمة والآثام !

فى الحق أن هذه الدولة لعبت دوراً خطيراً على مرسح الحياة السياسية العمرانية فى الشرق الأدنى حتى ليعزى إليها أكبر الفضل فى صدّ هجمة التتر المنبعثة من أعماق المشرق ؛ قال ابن خلدون : « حتى إذا استغرقت الدولة فى الحضارة والترف ، ولبست أثواب البلاء والعجز ، ورميت الدولة بكفرة التتر الذين أزالوا كرسى الخلافة وطمسوا رونق البلاد ، وأدالوا بالكفر عن الايمان بما أخذ أهلها عند الاستغراق فى التنعم والتشاغل فى اللذات والاسترسال فى الترف من تكاسل الهمم ، والقعود عن المفاخرة ، والانسلاخ من جلدة البأس وشعار الرجولة ؛ فكان من لطف الله سبحانه أن تدارك الايمان باحياء رمقه وتلافى شمل المسلمين بالديار المصرية بحفظ نظامه وحماية سياجه بأن بعث لهم من هذه الطائفة التركية وقبائلها العزيزة المتوافرة أمراء حامية وأنصاراً متوافية يجلبون من دار الحرب إلى دار الاسلام فى حقارة الرق»[1] فكانت تنقضى أيام هذه الطائفة فى التنقل من ميدان إلى ميدان ، ومن حصن إلى حصن ، فى مختلف أنحاء سوريا وفلسطين ، وقد اندحر التتر فى أكثر من واقعة واحدة ؛ كواقعة « عين الجالوت » التى كان النصر فيها حليف المسلمين ، فهلك كتبوغا زعيم التتر ، ومزقت جموعه كل ممزق[2] كما هلك خليفته أيضاً وجموعه من بعده ، عند ما حار بهم الملك الظاهر بيبرس ، وردهم على أعقابهم خاسرين متعثرين فى أذيال الهزيمة[3] ، وكانت سوريا فى خلال ذلك

(١) كانت العوامل التى دعت إلى ظهور هذه الدويلات كثيرة منها اضطراب أحوال الشرق السياسية وغلبة الاستبداد على حكامه وملوكه وشيوع بعض الآراء السياسية والدينية وعظم تأثيرها فى نفوس العامة ، وبعض مظاهره الاجتماعية كحياة القصور والحريم ونحو ذلك مما تضيق بذكره هذه الكلمة

(١) تاريخ ابن خلدون ج ٥ ص ٣٧١
(٢) تاريخ مصر لابن إياس . مصر ١٣١٢ هـ ج ١ ص ٩٧
(٣) المصدر نفسه ص ١٠٩

ميداناً لجهاد هؤلاء المماليك العنيف ضد الحملات الصليبية فامتلأت بجيوشهم وزهرة فرسانهـم ، ومازالوا يذرعون أرضها صعوداً وصـعوداً ، متكاتفين متكالبين حتى انتزعوا السلطة من أيدى الصليبيين ، واستخلصوا منهـم القلاع والحصون ، فافتتح الملك الظاهر بيبرس حصن صعذ وسيس[1] ، وسيس هذه كانت كعبة المجاهدين من أبناء المماليك لأنها مدينـة نصرانية ، فكان أهلها يظاهرون الأرض على جيوش المسلمين

وكان العلويون والحشاشون ، وهم من الباطنية ، أصحاب سلطة ونفوذ ، وكان قد دوخهم هولاكو فى حملته المشهورة ، ودمر حصونهم وقلاعهم[2] فاستأصل أبناء المماليك شأفتهم ، وحرروا سوريا من ربقة مظالمهم فى عهـد الملك الظاهر بيبرس المذكور[3] . وكان الملك الظاهر بيبرس هـذا قد استقدم ابن الخليفة الظاهر بأمر الله آخر خلفاء الدولة العباسية فى بغداد ، فأكرمه وقلده الخلافة ولقبه « المستنصر بالله » ، فأصبحت القاهرة مركز الخلافة الاسلامية بعد أن كان مركزها بغداد . وبقيت هنالك حتى مقدم العثمانيين[4] . ولكن الواقع أن سلطة هؤلاء الخلفاء كانت مقيدة لا تعدو أمور الدين والزعامة الدينية . وإنما أكد حاجة المماليك الى هـذه الخلافة الوهميّة رغبتهم فى وسم حكومتهم بطابع ديني شرعى حتى تنهض حجتهم ويستقيم أمرهم بين جماعات المسلمين[5]

وأخيراً لا ينبغى أن ننسى أن هؤلاء المماليك قد خلّفوا كثيراً من الآثار والأبنية التى تشهد لهم بالتقـدم فى فن العمارة وفى الرى والعمران ، فقد شـيدوا المساجد والمدارس والقصور والمستشفيات ، وعمروا القناطر والترع ، وحفروا الخلجان ، ووسعوا الأوقاف من كل ناحية . وكانوا يتبارون فى ذلك حتى عمّر القطر المصرى والبلدان المجاورة التى خضعت لحكم المماليك بجليل الآثار . فعمر الملك الظاهر الحرم النبوى ، وقبة الصخرة ، وقناطر شبرامنت بالجيزة ، وقلعـة دمشق ، وعمر المدرسة بين القصرين بالقـــاهرة ، وحفر خليج الاسكندرية ، وبنى قرية الظاهرية[1] . وشيد الملك الناصر القصر الكبير الأبلق ، وعمر الديوان الكبير والجامع الكبير الذى بالقلعة ، وعمر المجراة وأجراها من بحر النيل الى القلعة ، وحفر الخليج الناصرى ، وعمر قناطر أم دينار[2]

على أنه مهما قيل فى حسـنات هؤلاء المماليك فثمت ما يقال فى سيئاتهم وفيما خلّفوه من آثار البطش والجور والارهاق ، لخبث سيرتهم وعظيم جورهم ، وغلبة القسوة وشهوة الاستبداد على طبائعهم ، أولئك الذين كانوا فى الأمس عبيداً أرقاء ! فكان السلطان منهم مستبداً فى أمره لا وازع يكفه عن عمل الموبقات ؛ وكانوا فوق ذلك لا يعرفون « مبدأ الوراثة » فى الحكم ، فكان القوى منهم ينتهز الفرص للتفرد بالحكم والاستبداد بالضعيف ، فكان ذلك الوقت وقت تشاغل وفرص ، بل وقت مؤامرات تحاك فى الخفاء ، فلا يسلم منها الشعب ، ويصيبه من جرائها كثير من الجور والارهاق . وكانت الضرائب غير مقيدة بقانون أو وازع دينى أو إنسانى ، وإنما كانت تتفاوت فى الزيادة والنقصان حسب الظروف والأحوال ومشيئة السلطان

ولم تكن مصر مع ما ذكرنا بأسوأ حالاً من سورية وفلسطين ، ولاسيما وأن الأخيرتين كانتا ميـداناً للحروب والمناحرات . وهكذا ضج الناس وعم الفقر ، وانتشر الجهل والبلاء . وكان المجد العربى والعزة العربية والخلق العربى قد امحت جميعها من أذهان العامة ، فأصبح الناس لا يبالون بمن يولونه قيادهم ، ويسلمون له زمام أمورهم ، وإنما يطلبون العدل والانصاف !

وفى وسعنا المضى فى هـذا السبيل القاتم ، ولكننا نخشى ألاّ يكون فى ذاك فائدة بعد أن دللنا بالقليل على الكثير ، وهذه كتب التاريخ حافلة بمظاهر الجور بل بمشاهد الفقر والذل التى سادت الشرق العربى فى ظل حكم المماليك

يافه ظافر الدجانى

أ . ع .

(١) المصدر نفسه ١٠٤

(٢) تاريخ مصر الحديث ، للمرحوم جورجي زيدان ، مصر ١٨٨٩ م ص ١٨ (٣) دائرة المعارف الاسلامية « مادة المماليك »

(٤) راجع تاريخ ابن إياس المتقدم ج ٣ ص ٩٧ . وتاريخ جودت ترجمة دنا (بيروت ١٣٠٨ هـ) مجلد (١) الخ . . .

(٥) ابن إياس ص ١٠٠ . قال Main فى كتابه المماليك (لنـدن ١٨٩٦ م) ص ٢١٤ ما ترجمته : « كانت خلافة المماليك مظهراً لا أثر للحياة فيه ، ولكن خلافة العثمانيين كانت مجرد حلم ! »

(١) ابن اياس ص ١١١ (٢) المصدر نفسه ١٧٥

من مشاهد الشرق

١ - طائفة البهرا في الهند

ومجالسهم في عدن

بقلم محمد نزيه

منذ عنيت الصحافة المصرية بأنباء الهند ، وهي تذكر عن مكاتبيها في تلك البلاد النائية جماعة البهرا وشيخ البهرا بكثير من الاجلال والعناية ، ولقد طالما رأيت مذ شهدت الشيخ ومسست حياة جماعته أيام رحلتي في الهند أنهما حقيقان بعدة فصول تجمع الى طرافتها فائدة التعريف بجماعة من جماعات الاسلام لها خطرها في الهند ، على الرغم من أنها قليلة العدد لا يكاد أفرادها يجاوزون الثلثمائة ألف هندي مسلم ، إلا أن التماسهم أرق وسائل التعاون وأجدى أسباب الارتباط قد أغناهم عما يراد بالكثرة من قوة وعتاد

والبهرا طائفة من طوائف الشيعة يطلق عليها في العربية اسم (الشيعة الداوودية) نسبة الى رئيسها الأول . وقد كان باليمن ثم انتحى به العزم الى الهند ، فحط الرحال في صحبة من أتباعه بمدينة كجرات ، على ساعات بالقطار من (بمبي) ، منذ نيف ومائة سنة ، وبمبي إذ ذاك في عالم الغيب

وإذا كانت جماعات الشيعة قد عرفت بأوضاعها الخاصة وتقاليدها المستقلة في الدين والاجتماع ، فان شيعة البهرا أو شيعة الداوودية قد عرفت في جماعات الشيعة نفسها بعقائد وتقاليد تدير حولها سياجاً يفصلها عن غيرها فصلاً تاماً ؛ فهي تعتقد أن المهدي المنتظر سيكون من سلالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وتذهب إلى تخصيص فرع معين من فروع الدوحة النبوية ، على أن المهدي سيكون من ثمره ، أو على أن نبوة المهدي تكمن فيه ، وهي إذ كانت لا تعرف موعد ظهور الرسول الجديد ، لا تفتأ تنتظره دون تعجل ولا ملالة ، وتتمثله في واحد من الأحياء الذين ينتظمهم هذا الفرع المعين ، فاذا حان حينه فقد استخلف على رسالة المهدي وريثاً من أبنائه ، وما تزال أمانة النبوة تنتقل في صندوقها المقفل من وريث إلى وريث ، ومن عصر إلى عصر ، حتى يتهيأ الزمن لاستقبال هذه النبوة الجديدة ، وحتى يرى الله أن قد استفحل الضلال فلا مناص من إنقاذ الدنيا ، فيأمر فاذا بصاحب الصندوق قد فتحه وأصاب فيه عدة النبوة وخاتمها ، وإذ ذاك يظهر المهدي المنتظر . أما هذا الذي تكمن فيه نبوة المهدي ، فيظل نكرة لا يعرف سره من الناس إلا الشيخ الأعلى لجماعة البهرا ، يجتمع به كل ليلة في خلوة مهيئة بالمسجد الخاص ، وما يزال هذا أمره حتى يقبل اليوم الذي يسفر فيه للناس

وشيخ البهرا هو همزة الوصل بين المهدي المنتظر وأتباعه ، وهو مستودع سره ومثار نجواه ، يستشيره ويستلهمه ويخرج بتعاليمه على الناس ؛ وأما الطائفة فتنشر الدعوة إلى المهدي المنتظر ، وتنشرها بأن تزين مبادئها للناس ، وماتزال ماضية في مهمتها حثيثة السير حيناً ووئيدته حيناً حتى يدخل المسلمون جميعاً في طائفة البهرا ، يقدسون مذهبها ، ولا يحيدون عن عقائدها

وشيخ البهرا في العالم هو اليوم مولانا طاهر سيف الدين ، وهو الذي يقيم على جماعاتها في كل بلد توجد بها شيخاً من قبله يأتمرون بأمره وينتهون بنواهيه - وقد رأيت أول من رأيت من أولئك الشيوخ ، في عدن ، بعد أن علمت أنه من أجل أهل الاقليم مقاماً ، ومن أرفعهم شأناً ، فاذا رجل يحف به الوقار ، ويتهلل وجهه الذي استتر نصفه خلف لحيته البيضاء ، بالبشاشة والأنس ، حديد البصر ، أخضر الأحداق ، أبيض اللون ، نحيل الجسم بعض النحول ، يستر رأسه بعمامة بيضاء ويبتسم عن سنين أو ثلاث في فمه ، فقد بلغ بالستين مبلغ الشيوخ — ولعل أبرز ما في الشيخ لحيته الطويلة ولسانه العربي المبين : أما لحيته فكأنها قطن منفي ، يتفرق على صدره خصلاً رقيقة منفوشة ، إن تكلم اهتزت أطرافها ، واتبعت في اهتزازها حركات فمه ، كأن بين لسانه ولحيته صلة من فضل ومن وقار . وكأنما عاهد الشيخ نفسه على ألا ينطق بغير العربية الفصحى ، فما سمعه

النـاس متكلما إلا بها ، وقد حاسب نفسه على الضمة والفتحة حساباً عسيراً

ولقد كنت فى جملة من دعاهم الشيخ إلى مأدبة عشاء أقامها فى دار البهرا بعدن ، وهى من أفخم دور المدينة وأكثرها أناقة ، تجمع بين منزل الشيخ والمسجد الخاص الذى لا يصلى فيه غير البهرا ، ولا تصح صلواتهم فى سواه . والشرفة الفسيحة التى يستقبل الشيخ فيها زواره ، تحف بها حجرات كثيرة أعدت لشؤون الطائفة ، وقد بنيت هذه الدار على نفقة (البهريين) المقيمين فى عدن ، وعددهم لا يجاوز الألف ، كلهم ملتحون

***

كانت الشرفة الرحيبة التى هيئت ليستقبـل الشيخ فيها ضيفه مفروشة بالحصير ، وفى صدرها صفت الوسائد إلى الجدار ، واتكأ على أوسطها صاحب الدار ، ويطلق عليـه فى أساليب (البهرا) اسم (الداعى) لأنه أحد هؤلاء الدعاة المديدين الذين يكل الشيخ الأكبر إلى نشاطهم البارع ، وذكائهم الخلاب أمر الدعوة إلى اعتناق هذا المذهب من مذاهب الشيعة فى جهات كثيرة من أنحاء العالم ، فـكان الرجل لا ينهض من مجلسه إلا ليستقبل المدعوين من غير جماعة (البهرا) بينما يقبل المدعوون من هـذه الجماعة وفيهم من يدخلون فى وجوه عدن وخير تجارها ، فيقدمون على الشيخ وهو مستو فى مجلسه ، حتى إذا صار كل منهم قيد خطوة منه انحنى كانحناء المصلى ، وكاد يلمس الأرض بيمينه ، ثم رفعها إلى مفرقه ، وتراجع إثر ذلك إلى مجلسه من المكان

وطفق الشيخ يتحدث إلى خاصة مدعويه وأقربهم إلى مجلسه ، وهو لا يفتر عن رعاية المدعوين جميعاً ، يقسم بينهم بشاشة محياه ، ويلق عليهم من نظرات عينيه أشعة تحمل فى حرارتها معانى الشكر والترحيب والرعاية ، وإنك لتنظر إلى هاتين العينين فتلمح فى إشراقهما عواطف الحدب والرفق والاشفاق

اكتمل المدعوون عدا فى أربعة صفوف طوال ثم دار اثنان أو ثلاثة من البهرا بأباريق الماء بين الصفوف يصبون منها على الأيدى ، وفى إثرهم حملة المناشف ، وفى دقائق معدودة غسلت الأيدى جميعاً ، وتهيأ القوم لاستقبال الطعام . وما هى إلا برهة يسيرة حتى مد المتطوعون للعمل من أبناء الطائفة سمطاً طويلة من قماش أبيض على أديم المكان ، ثم صفوا فوقها أطباقاً رحيبة من الليف ، وثبتوا على كل طبق قاعدة إسطوانية جوفاء ترفع أخونة الطعام

انتظم المدعوون حول الموائد ، وكنت فى مائدة الشيخ ، فلم نلبث أن توسط خواننا إناء صغير من البلور فيه ملح مجروش يضرب إلى الاحمرار ، ولقد ماثلت جميع الأخونة خواننا فيما عليه ، ولم يعسر على أن أدرك أن لابد للتقاليـد البهرية من نصيب فيما يحتوى عليه هذا الاناء ، ولم أتبين أنه الملح ، وحرك الفضول يدى فتناولت أصابعى حصوات منه ، فلم تـكد تبلغ فمى حتى أحسست كأنما مسنى عقرب

وقال الشيخ فى صوت جهير بعد البدء بسم الله الرحمن الرحيم ، وهو يضع سبابة يمناه وإبهامها فى الاناء : « ليـكن الملح فاتحة طعامنا حتى يكون بيننا » فاذا الجمع كله يذوقه . . . وجىء بجفان الأرز فكانت تقلب فى الخوان جفنة تلو جفنة حتى اكتظ على سعته ، ثم حملت صحاف الأطعمة إلى الشيخ ، فـكان يتناولها ويضعها بين يديه تحت المـائدة ، ثم يتولى سكب ما فيها على الأرز واحدة بعد واحدة ، بين برهة وبرهة ، وهو لا يفتأ يذكر الله ويذكر باسمه كلما فعل ، فأما حرصه على أن يضع الطعام بيديه بين أيدى الطاعمين فلعل سببه أن أبناء طائفته يلتمسون فى ذلك خيراً وبركة . . . بل لقـد خيل إلى أننى أجد ما يلتمسون كلما رأيت الشيخ يخرج مما بينه وبين المائدة صحافاً من الطعام كان يشغلنى ما أنا فيه ، وربما شغل غيرى عن رؤيته وهو يتناولها من الخدم المتطوعين . . . وكأنما كانت بسملته المرتفعة الرهيبة التى تصاحب يديه كلما ارتفعتا وبينهما لون من ألوان الطعام فى طريقه الى الأرز ، توحى إلى الناس أنه يستنبته مما بينه وبين المـائدة ، وكان الطاعمون جميعاً يتناولون الأرز بأصابعهم إلا من طلب الملعقة من خاصة الضيوف

وما إن فرغنا من الطعام حتى عاد الناس إلى مجالسهم صفوفاً وطيف عليهم بأباريق المـاء فغسلوا أيديهم ، ثم بالمناشف فجففوها ، ومرت دقائق معدودة ، ثم أقبل الخدم يمرون بين الصفوف ينثرون عليها ماء الورد ، ويبدون بعده زجاجات من عطر عربى فياح ،

فتمتد الأيدى ، وتنال كل كف حظها منه ، وفى إثر هذا وذاك يمضى حملة البخور فى طريقهم وهم يديرون أوانيها حول الرؤوس ثم يدخلونها تحت الأثواب ، فيتصاعد بخار المسك والعود من فتحاتها . . . وثم شيء اسمه (التَّمْبُل) وهو ورقة شجرة هندية تعرف بهذا الاسم ، تطوى على مزيج من توابل مرة المذاق جميلة الرائحة ، يقال إن بينها نوعا مخدرا ، يمر بهذا التمبل بين الصفوف رجال من البهرا ، فيحبون كل مدعو بواحدة إلا من رفض ، فما إن يطبق المرء عليها فكيه حتى تروعه منها مرارة بالغة ، ولقد روعتني أكثر مما روعتني ملوحة الملح ، فتلفت أبحث عن وسيلة للخلاص منها ، ولما لم أجد حشثت أسناني على مضغها حتى أستطيع ازدرادها ، وإن هى إلا دقيقة أو بعضها حتى خفت وطأتها على لساني ، وما فتئت تخف حتى زالت ، وهى تردد بعد ذلك فتتعطر بها روائح الأفواه ، وتطيب أنفاسها . وغادرنا دار الشيخ وفى أثوابنا شذى المسك ، والعود ، وفى وجوهنا عبير ماء الورد ، وفى أكفنا نفح الطيب ، بل وفى أفواهنا أريج القرنفل . . . فكأنما لمسنا نسيما رفيفاً من نسائم الجنة ، يمضى فى طريقه فيهمس فى آذان أهل الأرض بما ينقله عن أهل السماء

***

ولقد كان لى مع الشيخ بعد ذلك فى مجالس أخر حوار لعله لم يسغه ، ولم يقبل على الاشتراك فيه راضياً ؛ فقد كنت أتبين رغبته عنه فى صعوبة خلال أدبه الجم . . . ولكن طالب العلم من السفر حريص على أن يطل بعقله على كل ما عسى أن تراه عيناه ؟

القاهرة — محمد نذير

اعلان من الرسالة

(١) لا تنشر الرسالة إلا ما كتب لها خاصة

(٢) لا تنشر الرسالة المقالات المسلسلة إلا إذا أرسلت إليها السلسلة كاملة

(٣) لا تنشر الرسالة قطعة مترجمة ما لم يرسل أصلها معها

وزارة المعارف العمومية

إعلان

تعلن وزارة المعارف أنها ستوفد هذا العام سنة ١٩٣٥ بعثة علمية من أربعة أعضاء للتخصص فى اللغة الانجليزية لمدة سنتين بانجلترا وذلك لاعدادهم لتدريس اللغة الانجليزية بالمدارس الثانوية

ويشترط للترشيح للبعثة المذكورة :

١ — أن يكون المرشح حاصلا على دبلوم المعلمين العليا الأدبية أو معهد التربية العالى

٢ — أن يكون ممن مارسوا التدريس بمدارس الوزارة

٣ — أن يكون حاصلاً على ٦٥ ٪ على الأقل من مجموع درجات امتحان الدبلوم

٤ — أن يجتاز بنجاح امتحان المسابقة التحريرى الذى سيعقد بمدرسة التجارة العليا فى الساعة الثامنة من صباح يوم الاثنين ٥ أغسطس سنة ١٩٣٥ فيما يأتى : الانشاء الانجليزى — مبنى اللغة ومصطلحاتها — الترجمة الى اللغة الانجليزية — وأن يحصل فيه على ٧٠ ٪ على الأقل من النهاية العظمى للدرجات وعلى ٦٠ ٪ على الأقل فى كل فرع على حدة

٥ — أن يجتاز اختباراً شفوياً فى المطالعة والمحادثة الانجليزية يتبين منه حسن استعداده لمهمة تدريس هذه المادة وأن يحصل فيه على ٧٠ ٪ على الأقل من النهاية العظمى لمجموع الدرجات

وسيراعى فى الاختيار نتيجة الامتحان التحريرى والاختبار الشفوى وتقارير حضرات النظار والمفتشين ، فعلى من يرغب فى التقدم للالتحاق بهذه البعثة أن يقدم طلباً على الاستمارة المدموغة المعدة لذلك . ويمكن الحصول عليها من مخازن وزارة المعارف بدرب الجماميز بالقاهرة نظير دفع مبلغ ثلاثين مليما . وترسل بعد ملئها مسجلة بطريق البريد إلى حضرة صاحب المعالى رئيس لجنة البعثات بوزارة المعارف على ألا يتأخر ورود الطلبات عن يوم ٢٠ يوليه سنة ١٩٣٥

من ذكريات مصر

ساعات مع الكاظمي

للأستاذ كمال ابراهيم

مات الكاظمي ! فطويت بموته للعبقرية صفحة زاهرة ، كانت سامية المثال ، علوية الروح ، عراقية النشأة ؛ نمت نبتتها متسقة الأصول على دجلة المبارك ، وعلت دوحتها مبسوطة الأفانين على ضفاف النيل السعيد ؛ وما زالت تصوب إلى السماء صعداً حتى اجتاحها للمنية اعصار شديد ، فجالدها أعواماً ، وغالبها أياماً ، حتى هوى بها من باسق الذرى إلى الأرض ، حيث النهاية التي لا تراغم ، والقدر غير المدفوع

مات الكاظمي ! فسكت لسان عربي مبين ، كان نخر لغة الضاد ، وحادي الأبناء إلى المجد ، وباعث العزائم في الخطوب السود ؛ وكان لسان العروبة الناطق بحقها في حياتها ، ومخذمها المذرب عند الخصام ، فكم ذاد عن الحسب الكريم ، ونافح عن الحق المهضيم ، وتغنى بالمجد القديم ، يوم لم نكن نجد في هذه الأمة إلا الخافر لذمتها ، والمنتهك لحرمتها ، والكافر بنعمتها ، والمظاهر لأعدائها عليها

والهفتا على العروبة الهضيمة ! لقد أخرس الردى شاعرها الصيداح ، فاشتملت بالأسى أباطح الحجاز ، وصوحت أزاهير اليمن الخضراء ، وحالت ربى حائل والرياض ، وجلل السواد سواد العراق ، وفاضت عيون النيل ، وجرت باكية معولة عيون الشام ومحاجر لبنان ، ترجع أنغامها الحزينة بنات الهديل بين لفائف الأغصان . .

كان الشعر العربي قد بلغ من الاسفاف الحضيض ، فعدت به عن مجاراة الحياة أثقال تلك الصناعة المقوتة التي حملها اياه شعراء الفترة المظلمة ، وضيقت عليه الخناق تلك القيود المحكمة من زخارف اللفظ وبهارج البديع وأفانين الصناعة ، حتى أخرجته عن طبيعته ، وزاغت به عن سمته ، فجاء متكلفاً نابياً ، وغثاً بالياً وجامداً بغير روح ، لولا ذماء ضعيف يشعر ببقية الحياة . كان الشعر كذلك ، وكانت البيئة الأدبية في العراق متأثرة كل التأثر بشعر (الأخرس ، وصالح التميمي ، والشاوي ، والحبوبي ، وأضرابهم) حتى أتاح القدر للشعر من نفخ فيه من روحه ؛ فأطلقه من عقاله ، وأنهضه من كبوته ، وسما به صعداً الى السماء يرف بجناحين من نور ، بعد أن كاد يحثى عليه التراب في حفير مظلم عميق ، وكفى الكاظمي سبقاً أنه بذ المتأخرين ومعظم المتقدمين في ارتجال الشعر من غير كلفة في أي غرض ، تستقيد له شوارد القوافي بديهة حاضرة ، وذاكرة نادرة ، وحافظة وعيت من شعر الأولين عيونه ، وما أجدر شاعرنا أن يكون لسان حاله ما قال (ابن هانئ الأندلسي) عن نفسه :

ما ضرني إن لم أجئ متقدما	السبق يعرف آخر المضمار
وإذا اغتدى ربع البلاغة بلقماً	فلرب كنز في أساس جدار

وكما كان الكاظمي السابق في حلبة البيان ، كان كذلك علو كعب في ميدان الجهاد والاصلاح . عُرفت منه هذه النزعة وهو طرير لم يكتهل ، وغرير لم يعجم حوادث الزمان ، فكان صوته في الاصلاح يرن في مجتمعات بغداد ، ولكنه كان قليل العائدة ، حتى قدم الزوراء إذ ذاك رجل الاصلاح المشهور (الشيخ جمال الدين الأفغاني) فوجد شاعرنا فيه ضالته ، فكان من أشياعه ، فضاقت عليه البلاد بما رحبت ، وقذفت به نوى شطون ، شرق فيها وغرب ، حتى احتضنته (مصر) ؛ فألقى بها عصاه

وبوادي النيل الجميل حيث القوة تصارع الحق ، والظلم يناهض العدل ، والحرية تنتحب ، يأبى الكاظمي إلا الصدع بالحق ، فيقارع الاستعمار ، ويتغنى بالحرية ، ويشيد بمجد العرب الضائع ، حافزاً للأبناء على استرداد ذلك المجد ؛ وخلصت له في مصر صفوة ممتازة من أعلام البيان وقادة الفكر وزعماء الأمة ، عرفوا له فضله ، فصدقوه الولاء ، وأحلوه السويداء . واستوثقت الصلات بينه وبين (الوفد المصري) فكانا لساناً من ألسنته مشرعاً لا ضد حزب من الأحزاب ، ولكن ضد سياسة الاستعمار فحسب . . .

عرفت الشيخ الكاظمي أول هبوطي مصر (عام ١٩٢٩) فكنت أسأل عنه من أتعرف اليهم ، حتى أرشدني (محرر بالأهرام) إلى داره في (مصر الجديدة) فذهبت اليه في لمة من الاخوان ، جئنا اليه من بلده ، ومسقط رأسه . فما كان أشد ابتهاجه بنا ، وطربه بمقدمنا ، لقد استعاد بتلك الزيارة ذكريات ماضيه حلوة في العراق . فكان رحمه الله يحدثنا عن أيامه تلك بشوق واقبال ليس فوقهما مزيد

وقد كانت داره مصاقبة لدار أستاذنا المرحوم (الشيخ محمد عبد المطلب) وكانت بينهما صلة وثيقة ، وصداقة قل أن تعرف

بين الأصدقاء ، فكنت أقصد (مصر الجديدة) فى الغالب لزيارة الشيخين وتجديد العهد بهما ؛ فأقضى ساعات هى أمتع ما تكون للنفس ، وأشهى ما يلذ للعقل ، ويقرأ علىَّ شاعرنا ما استجد له من شعر

ما أنس لا أنس تلك الايام السعيدة التى كنت أخرج فيها موليًا وجهى شطر (هليوبوليس) يحدونى الشوق الى تلك العبقرية الفياضة ، والصفحة النادرة ، والشخصية الفذة ، فأجلس الى الشاعر ، أتلقف من حكمته ، والتقط من درر فوائده وجواهر فرائده ، وشاعرنا محدث كما هو شاعر ، يهدر كالسيل إن أفاض فى الحديث ، يصله ببعضه ، ويزين مجلسه بطرائف الأخبار ، وروائع الحكم ، وأوابد الملح والمفاكهات ؛ فلا تكاد تسأم له لهجة ، ولا تمل منه لغة . وكان ـ رحمه الله ـ حريصاً على أن يكشف لنا عن صفحات القضية العربية فى عهدها الأخير ويجردها بغير طلاء ، ويجلو لنا حقائق التاريخ ناصعة غير مموهة ، ويبعث فينا من روحه لمواصلة العمل والجهاد . . .

لقد كان شاعرنا ذخراً لأمته ، ولكنه كان مضاعا تنكر له وطنه الأول كما تنكر له دهره ، وظل وفياً لهذا الوطن يلاحى عنه بمهجته ، على حين لم يجد منه طوال حياته غير الجفاء ونكران الجميل ، ظل وفياً له حتى قضى نحبه . فلما قضى نحبه جئنا بعده نذرف الدمع عليه نادمين . . .

فاذهب كما ذهب الوفاء فانه   عصفت به ريحا صبا ودبور

(بغداد) **كمال ابراهيم**
خريج دار العلوم

تصحيح والفات نظر

طلعت « الرسالة الغراء » فى (العدد ١٠٣) على قرائها بمقالة ممتعة فى تحليل شخصية الامام المؤرخ (السخاوى) بقلم الأستاذ المؤرخ السيد محمد عبد الله عنان ، فكان من حق الأستاذ علينا أن نشكر له مباحثه الدقيقة ، ومن فرض العلم علينا أن نبين للناس هفوات قلم طامعين بعفوه ، لما اشتهر عنه من سعة علمه وعظيم حلمه

أورد الأستاذ فى آخر مقاله المذكور أن صاحب (شذرات الذهب) يضع وفاة السخاوى (فى مكة) . وهذا سهو من الأستاذ لأن عبارة (شذرات الذهب) هى بحروفها : (وتوفى — بالمدينة — المنورة يوم الأحد الثامن والعشرين من شعبان ، وصلى عليه بعد صلاة صبح يوم الاثنين ووقف بنعشه تجاه الحجرة الشريفة ودفن بالبقيع بجوار مشهد الامام مالك) ج ٨ ص ١٧

فانكشف بهذا النص المفصل الموافق لمحفوظ غير واحد من ثقات المؤرخين أن من أرخ وفاته فى مكة فقد وهم ، وجل من لا يغلط

نزيل القاهرة **محمد آل ياسر الخشبة**

دراسات فى الادب الانجليزى

المذهب الواقعى وفن الدرامة (١)

بقلم محمد رشاد رشدى

فى المسرح الاغريقى : أول ما يتبادر الى ذهن الباحث فى هذا الموضوع أن يُنقب عن الواقعية فى عناصر الدرامة الثلاثة : فى الموضوع والأشخاص والأسلوب . غير أن نسبة الواقعية فى كل من هذه الأجزاء قد تختلف نظرياً ـ أى فيما يكتبه نقاد العصر عن الفن المسرحى ـ عما يباشر عمليا فوق مسرح العصر . ولذلك رأينا من الأوفق فى معالجة هذا الموضوع أن نلقى نظرة سريعة على النقد المسرحى نتبعها بمطابقة هذا النقد للمسرح نفسه . والناقد الوحيد الذى نستطيع الاعتماد عليه فى حديثنا عن المسرح الاغريقى هو أرسطو . .

كتب (أرسطو) فى رسالته عن الشعر يتحدث عن الواقعية فى الموضوع قال : « يتضح مما سبق أن مهمة الشاعر هى أن يصف ـ لا الشىء الذى يحدث ـ بل الشىء الذى من المحتمل وقوعه ـ أى ما قد يكون ممكنا أو ضرورياً » . وعلى هذا فوحدة الموضوع إنما تنشأ من مبادئ الواقعية الأساسية ؛ فحوادث القصة يجب أن يتصل بعضها ببعض اتصالاً ممكناً أو ضرورياً تحتمه ظروف القصة نفسها وجوها الخاص بها . وكتب هذا الناقد عن أسلوب القصة المسرحية ، قال : « يمكننا الآن أن نرى أن على الكاتب أن يخفى نفسه حتى يستطيع أن يتحدث طبيعياً لا صناعياً » . ومن الجدير بالذكر هنا أن الأثر الذى يحدثه أسلوب (شكسبير) على المسرح لا يختلف واقعياً عن الأثر الذى يحدثه أسلوب (أوسكار وايلد) — أو (كونجريف) أو (شريدان) أو (برناردشو) . أما عن شخصيات الدرامة فقد قال أرسطو : « من البدهى أن أشخاص القصة إما أن يكونوا أشخاصاً صالحين أو طالحين — ويتبع هذا أن بطل القصة إما أن يكون فوق مستوانا الخلقى والاجتماعى ، أو تحت

(١) رجعنا فى هذا البحث الى رسالة الأستاذ ا . هـ . دافيز ، التى حاز بها جائزة Le Bas لعام ١٩٣٣ من جامعة كمبردج

هـذا المستوى - أو فى نفس المستوى ومثلنا تماماً - غير أن من يتأمل الدرامة الاغريقية لا يجد فيها متسعاً لهذا الصنف الثالث من الشخصيات التى هى فى مستوانا ومثلنا تماماً - على أن ذلك لا يمنع أن يكون للدرامة الاغريقية الحظ الأوفر من الواقعية ، وأن تكون بعيدة بعداً شاسعاً عن كل ما هو رمزى أو مثالى . وقد يبدو هذا مخالفاً للمألوف - غريباً - غير أننا سنحاول بسطه وتفصيله

(فالتراجيدية) الاغريقية تعالج فى مجموعها ماضى الاغريق وأساطيرهم ؛ وهى لذلك يمكن أن تعد فى القصة التاريخية - ويتضح قولنا هذا إن استطعنا تصوّر جماعة المتفرجين فى مسرح أثينا ، عند ازدهار الدرامة وانتشارها . فقد كان هؤلاء القوم على قسط من البداوة يسمح لهم بأن يعدوا كل مانظمه الشعراء من قصص الآلهة وأنصاف الآلهة تاريخاً قومياً لبلدهم وشعبهم ؛ وإن ما نراه نحن اليوم غريباً خرافياً فى شعر أولئك الشعراء مثل ظهور الآلهة على المسرح ، أو إنبعاث الأشباح من قبورها ، لم يكن هكذا غريباً أوخرافياً عند الاغريق الأوائل ، بل كان حقيقة تروى وتاريخاً يقص - نسبة إلى دينهم وحياتهم وقوة خيالهم الطفل - أما أن الدرامة التاريخية هى أقرب أنواع هذا الفن إلى الواقع والحياة فهذا مما لا ريب فيه - وقد كتب الناقد الانجليزى (كولريدج) يقول : « لأجل أن تكون الدرامة حقيقة تاريخية يجب أن يعالج موضوعها تاريخ القوم الذين تمثل لهم وتقص عليهم ، - ونحن إذا أنعمنا النظر قليلاً وجدنا أن من الصعب أو من المستحيل أن تنشأ لشعب عاطفة وطنية ما لم يكن هـذا الشعب على علم - ولو خاطئاً - بتاريخه وتاريخ بلده - ومن هذا ينتج أنه فى الدرامة التاريخية تكون العلاقة بين حوادث القصة على المسرح وبين المتفرج على مقعده قوية متصلة أقوى منها فى أى نوع آخر من الأدب المسرحى . ومن المشاهد أن الكاتب المسرحى يتوخى ذكر هزائم التاريخ وسقطات الأبطال وفشلهم ، فان هو ذكرها فانما يذكرها معكوسة فلا توحى إلى نفس المتفرج يأساً ولا خيبة ، ولكن تشملها حماسة ووطنية ، وإنا لنذكر حظ الشاعر الأثينى البائس الذى بنى قصته على فشل (أثينا) البحرى فى حربها مع (أسبرطة) ، فكانت النتيجة أن ألزمه قومه بدفع قسط من المال كبير عقاباً له وتأديباً وإظهاراً لاحتجاجهم وسخطهم . فخلال هـذا الشعور الذى تتأجج به نفس المشاهد ، وخلال إحساسه بوحدة بلده وقوميتـه واتصال ماضيه بحاضره تقوّى حوادث القصة التاريخية على المسرح إحساسه هو بنفسه وكيانه كما يقوّى وجوده هو حقيقة القصة وصحتها ولونها الواقعى . ومهما يكن فى المسرحية التاريخية من شذوذ أو بُعد عن الامكانية فان لونها الواقعى يظل أقوى الألوان جميعاً مادام التاريخ يكسوها ويظلها بظله

غير أن هناك مأخذا واحدا ، هو أن أبطال تلك المسرحية هم دائماً أبداً فوق المستوى الاجتماعى العادى

الدرامة الرومانية : لم تتقدم (التراجيدية) عند الرومان عما كانت عليه عند أسلافهم الأغريق - إن لم تكن قد انحطت وضعفت ؛ أما فى (الكوميدية) فقد كتب الناقد اللاتينى (دوناتُس) ما يدهش له أقطاب المذهب الواقعى الحديث ، قال : « الكوميدى هى مرآة الحياة البشرية » - وهو يذكر فى موضع آخر أن « الكوميـدية » تصف أشخاصاً معينين تتكون حياتهم من حوادث بسيطة عادية ، فى حين أن (التراجيدية) تختار لمسرحها قاعات الملوك aulis regis الذين تتكون حياتهم من حوادث جسام ذات أثر خطير . وقد أصبحت مطابقة (الكوميدية) الرومانية للحياة والواقع أمراً مشهوراً عند كل من قرأها ، فأسلوب كاتبيهـا (ترنْس) و (بلوتُس) هو أقرب أساليب الآداب القديمة إلى اللغة اليومية ، كما أن جل أبطالها هم من الطبقة الوسطى ، وحوادثها بسيطة عادية قد تقع كثيراً للقارىء أو للمشاهد فى حياته الخاصة

إلى هذا الحد كانت (الكوميدية) الرومانية تطابق الواقع ، غير أنا نشاهد فيها اتجاهاً غريباً يتناقى مع صبغتها الواقعية - وأعنى به (تصنيف الشخصيات) - وينحو هـذا الاتجاه نحو اختيار مثل خاص لكل شخصية من الشخصيات . فللابن مثل خاص معروف به لدى كل كتاب المسرح ورواده - كذلك لكل من العبد والأب والعاهر وكل شخصية يتكون منها المسرح مثل خاص ؛ فلكل منهم أحاديث خاصة ، وملابس خاصة ، وصفات خاصة يعترف بها الجميع ، حتى ان لونهم

الانسانى وصبغتهم الواقعية تكاد تكون معدومة على المسرح

الدرامة الانجليزية فى عصر شكسبير: ازدهرت الدرامة فى هذا العصر بأنواعها الثلاثة: التاريخية والبيتية والشعرية أو الغرامية. أما النوع الأول فقد سبق أن تحدثنا عنه وسنتحدث الآن عن اللون الواقعى فى كل من النوعين الآخرين

يحسب الكثير من الناس أن الشعر يتعارض مع الحياة والواقع، وأن القصة الشعرية يجب أن تكون بعيدة كل البعد عن الحياة، وخالية كل الخلو من اللون الواقعى؛ غير أن هذا الظن — فى رأيى — خاطئ كل الخطأ

وإن أوضح تعريف للشعر أن نقول إنه ترتيب تجارب الشاعر فى الحياة ترتيباً خيالياً عكس كل ترتيب آخر فكرى أو فلسفى. والشعر على العموم يأخذ شكلا من تعبيرين: فهو إما أن يأخذ شكل الاسطورة، أو شكل المجاز والصورة، أو شكل الأسطورة والمجاز معاً. فشعر (ملتون) مثلاً يأخذ شكل الأسطورة، وشعر (دن) يأخذ شكل المجاز والصورة. أما فى مسرحيات (شكسبير) العظمى فالشعر فى القصة نفسها — فى الموضوع — قبل أن يكون فى الكلام والصورة — ونحن إن قصرنا الشعر على الكلام والألفاظ وجردنا منه موضوع القصة فاخترناه موضوعاً نثرياً مما قد يقع كل ساعة وكل يوم كان الأثر الذى لابد أن تحدثه القصة أثراً ضعيفاً بعيداً عن الواقع والحقيقة؛ وليس معنى الواقعية أن تكون القصة خالية من الشعر، فوجود الشعر لا يمنع وجود هذا اللون، بل هو قد يقويه ويزيده نضرة ووضوحاً؛ ويكفى أن يفكر المشاهد فى نفسه أنه لو حدث له مثل ما يرى فى القصة أمامه، ولو كانت له من الصفات مثل ما للبطل نفسه فسيحدث الحادث بنفس الطريقة، ومثلما حدث للبطل تماماً...

وقد يعترض البعض بأن اللغة الشعرية تجرد الكلام من لونه الواقعى — ولكن من منا قد دهش لروميو يتحدث شعراً، أو (لهاملت) يناجى نفسه ويحدثها حديثاً؛ لو أن (شكسبير) صاغه صياغة غير الشعر لجاء باهتاً، ضعيفاً، لا يؤدى معنى، ولا يحمل صورة. وإن من يقرأ قصة شكسبير (أنطونيو وكليوباتره)، ثم يقرأ بعدها قصة شو (قيصر وكليوباتره)؛ والأولى شعر والثانية نثر — ليرى الى أى حد استطاع شكسبير أن يكسو القصة بشعره لوناً واقعياً قوياً، فى حين أنه لا يمالك

نفسه من الضحك أو ذوقه من النفور عند ما يسمع (كليوباتره) تودع قيصر قائلة: Good Bye, Ceasar

فلأجل أن يكون الشاعر واقعياً يجب أن يكون الشعر فى عناصر قصته الثلاثة: فى موضوعها وأبطالها وأسلوبها؛ وإن من يتأمل (شكسبير) من كل نواحيه يتضح له أن الشاعر الكبير كان إمام الواقعيين وسيدهم، فهو يسمعك شعراً ولكنه شعر يصف الحياة أدق وصف — حياة الجسم وحياة الروح — وأنت تحس وأنت تقرأه أن (ياجو) ما كان ليستطيع أن يقول غير ما قاله، أو يفعل (هملت) غير ما فعله

ولقد قرأت قصة (مكبث) مراراً، فكنت فى كل مرة أقف مبهوتاً أمام هذه السطور يحادث بها (مكبث) نفسه بعد أن منته الساحرات أمانيهن الخلابة، فأصبح فى حيرة من أمره وأضحى خياله ملتهباً، وعقله مشتتاً:

« المخاوف الحاضرة أقل عناء من التخيلات الواسعة البعيدة، وإن عقلى الذى لم يقتل بعد كل القتل — يعصف هكذا بكيانى كله — حتى لقد قبر الفكر فى الحلم والتخيل، ولم يبق كائناً أمامى غير كل ما هو ليس بكائن ». أقول إن شاعراً غير (شكسبير) ما كان يستطيع أن يعطينا وصفاً أدق من هذا، وأكثر مطابقة للواقع والحقيقة، لو استطعنا تأمل حالة (مكبث) الذهنية وهو يلفظ تلك الكلمات — و (شكسبير) دائم الجهد فى أن يصبغ قصصه باللون الواقعى، فتراه فى أعظم قصصه (التراجيدية) يدخل فصولاً وأشخاصاً مضحكة خفيفة، تقرب ما بين جو القصة وبين جو الحياة العادية — والأثر الواقعى الذى ينشأ من هذا لا ينتج من أن الضحك والبكى يسيران جنباً الى جنب فى حياتنا، بل لأن اللون الواقعى فى الشخصية المضحكة أشد وأظهر منه فى شخصيات (التراجيدية)

فالشخصية المضحكة هى فى الغالب تحت مستوانا الاجتماعى، ولذلك نميل نحن الى تصديق صحتها والاعتقاد بوجودها أكثر من ميلنا الى الاعتقاد بوجود شخصية أو شخصيات فوق مستوانا؛ ومن هذا كان (شكسبير) يستخدم أهل الطبقة الدنيا ليصبغ الكثير من قصصه بلون واقعى؛ خذ مثلاً شخصيتى حافرى القبور فى (هملت)، والبستانى فى (ريتشارد الثانى)، وجماعة الممثلين القرويين فى (حلم منتصف ليلة صيف)، وظهور

شخصية (فالستاف) الفكهة بعد كل من المركتين فى (هنرى الرابع)، وظهور شخصية المهرج (النول) فى منظر العاصفة فى (الملك لير)؛ والأمثلة غير هذه كثيرة، كما أن (شكسبير) لا ينهى رواية بنهاية حوادث القصة الأساسية، بل يعرض عليك فصلاً، وربما عرض فصولاً لاقيمة لها فى القصة، غير أنها تكسبها لوناً واقعياً يدلك على أن الحياة ما زالت كما هى بعد موت بطل الرواية أو بطلتها

محمد رشاد رشدى
بكالوريوس بامتياز فى الأدب الانجليزى

٢٨ ــ محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

فيدون او خلود الروح

ترجمة الأستاذ زكى نجيب محمود

قال: الحكاية يا صديقى هى كما يأتى: فأولاً إذا نظرت إلى الأرض من أعلى رأيتها تشبه إحدى هذه الكور التى تكسوها أغشية من الجلد فى اثنتى عشرة قطعة، وهى مختلفة الألوان، فليس ما يستخدمه المصورون فى هذه الدنيا من الألوان إلا مثال منها، أما هنالك فالأرض كلها مصبوغة بها، وهى أشد لمعاناً ونصاعة من ألواننا، فثمَّ أرجوانى عجيب الرونق، وثمَّ ذهب يتألق، والأبيض فى أرضها أنصع من كل ثلج أو طباشير. تلك الأرض مصبوغة بهذه الألوان وغيرها، وهى أكثر عدداً وأروع جمالاً مما وقعت عليه عين الانسان، والفجوات نفسها (التى كنت أتحدث عنها) يغمرها الهواء والماء، فتراها كالضوء الوامض بين سائر الألوان، ولها لون خاص بها يخلع على تباين ما فى الأرض نوعا من التآلف، وكل شىء مما ينمو فى هذه المنطقة الجميلة — أشجاراً وأزهاراً وفاكهة — أجمل — بنفس الدرجة — من أضرابه هنا؛ وثمَّ تلال، صخورها أشد صقلاً، وأكثر شفافية، وأجمل لوناً — بنفس الدرجة — مما نغلو بقدره عندنا من زمرد وعقيق ويصب وسائر الجواهر التى إن هى إلا نثرات منها ضئيلة، فالأحجار كلها هنالك كأحجارنا الكريمة، بل أروع منها جمالاً؛ وعلة ذلك أنها نقية، وأنها لم تفسدها ولم تبرها العناصر الملحة الفاسدة، كما فعلت بأحجارنا الكريمة، تلك العناصر التى خثرت عندنا فتولد منها الدنس والمرض فى التراب وفى الصخور على السواء، كما تولدا فى الحيوان والنبات، تلك هى جواهر الأرض العليا، وفيها كذلك يسطع الذهب والفضة وما اليهما، وليست تلك الجواهر بخافية عن العين، وهى كبيرة وكثيرة، وتوجد فى مناطق الأرض جميعاً، فطوبى لمن يراها. ويعيش فوق الأرض ناس وحيوان، منهم من يستوطن اقليما داخلياً، ومنهم من يسكن حول الهواء، كما نسكن نحن حول البحر، ومنهم من يعيش فى بلد يتاخم القارة، ويهب حوله الهواء. وجملة القول أنهم يستخدمون الهواء كما نستخدم نحن الماء والبحر، وللأثير عندهم ما للهواء عندنا؛ هذا وحرارة فصولهم هى بحيث لا يعرفون معها مرضاً، فيعمرون أطول بكثير مما نعمر نحن، ولهم بصر وسمع وشم، وسائر الحواس كلها، وهى أبعد كمالاً من حواسنا بنفس الدرجة التى بها الهواء أنقى من الماء، أو الأثير أصفى من الهواء. كذلك لهم معابد وأماكن مقدسة فيها يقيم الآلهة حقاً، فهم يسمعون أصواتهم ويتلقون اجاباتهم، وهم يشعرون بهم ويديرون بينهم وبين أنفسهم أطراف الحديث، وهم يرون الشمس والقمر والنجوم كما هى فى حقيقة أمرها، وعلى هذا النحو كلٌّ ما هم فيه من أسباب النعيم

تلك هى طبيعة الأرض كلها، وما حول الأرض من أشياء، وفى الفجوات التى على ظهر الأرض أصقاع متباينة، بعضها أعمق وأوسع من فجوتنا التى نقيم فيها، وأخرى أعمق وأضيق فوهة منها، وبعضها أوسع وأقل عمقاً، وتربطها جميعاً بعضها ببعض ثقوب عدة وممرات عريضة وضيقة فى باطن الأرض. وهنالك يتدفق فيها ومنها ــ كما يتدفق فى الأحواض ــ تيارٌ عظيم من الماء، وثمَّ مجار ضخمة لأنهار تحت الأرض لا ينقطع جريانها، وينابيع حارة وباردة، ونار عظيمة، وأنهار كبيرة من النار، ومجار من طين سائل، منها الرفيع والسميك (كأنهار الطين فى صقلية وما يتبعها من مجارى الحمم) فتغمر المناطق التى تتدفق

حولها . وهنالك فى باطن الأرض نوع من الذبذبة يحرك هـذا كله إلى أعلى وإلى أسفل ، والحركة الآن فى هـذا الاتجاه : وبين الفجوات هوةٌ هى أوسعها جميعاً ، تنفذ خلال الأرض كلها ، وهى التى وصفها هوميروس بهذه الكلمات :

« ان أغور عمق تحت الأرض جد سحيق »

وقد أطلق عليها فى مواضع أخرى اسم جهنم ، وكذلك فعل كثير غيره من الشعراء . وسبب الذبذبة هو تلك الأنهر التى تتدفق فى هذه الهوة ومنها ، ولكل منها طبيعة التربة التى تجرى فيها ، وإنما كانت تلك الأنهار دائمة التدفق دخولاً فى الهوة وخروجاً منها لأن عنصر الماء ليس له قاع ولا مستقر ، وهو يعج ويهتز صعوداً وهبوطاً ، وهكذا تفعل الريح والهواء المحيطان به ، إذ هما يتبعان الماء فى صعوده وهبوطه وفى اندفاعه فوق الأرض هنا وهناك ، مثل ذلك مثل الشهيق والزفير لا ينقطعان حين نتنفس الهواء ، وباهتزاز الرياح تبعاً للماء دخولاً وخروجا نشأت عنها العواصف المروعة القاصفة : فاذا ما تراجعت المياه مندفعة إلى الأجزاء السفلى من الأرض ـ كما تسمى ـ انسكبت فى تلك المناطق خلال الأرض وغمرتها ، كما يحدث إذا تحركت مضخة الماء الحركة الثانيـة ، فاذا ما خلفت تلك المناطق وراءها وكرت إلى هنا مندفعة ، فانها تملأ ما هنا من فجوات مرة أخرى ، حتى إذا امتلأت هذه ، فاضت تحت الأرض فى قنوات لتلتمس سبيلها إلى أمكنتها المـديدة ؛ فتكوّن بذلك البحار والبحيرات والأنهار والينابيع ، ومن ثمّ تفور فى الأرض ثانية ، فيدور بعضها دورة طويلة فى أراض فسيحة ، ويذهب بعضها إلى أمكنة قليلة وإلى المواضع القريبة ، ثم تهبط مرة أخرى إلى جهنم ، فيبلغ بعضها حداً دون ما كان ارتفع اليه بمقدار كبير ، ولا يهبط بعضها الآخر دون ذلك الحد هبوطاً كثيراً ، لكنها جميعاً تكون أوطأ من نقطة الانبثاق إلى حدما ، ثم ينهمر بعضها ثانياً فى الجانب المقابل ، وينهمر بعضها الآخر فى الجانب نفسـه ، ويدور بعضه حول الأرض فى ثنية واحدة أو فى عدة ثنايا تشبه حنايا الثعبان ؛ وتنزل ما استطاعت النزول ، ولكنها دائماً تعود فتصب فى البحيرة ، أما الأنهار التى على كلا الجانبين فلا تستطيع النزول إلى أبعد من المركز ، لأن فى الجانب المقابل لهذه الأنهار هاوية

(يتبع) زكى نجيب محمود

على دار النيابة

للأستاذ فخرى أبو السعود

يا دارُ قد عبثتْ بكِ الأقدارُ   وبغى عليك المعشَر الأشرار

عُطِّلْتِ فى رَيْع الشباب وصُدَّ عن   ناديك ظلماً رهطك الأبرار

وخَلَوْتِ حتى صرتِ ربعاً موحشا   يُشجى النفوسَ حِيَاله التـذكار

لم يبقَ منكِ ـ ولمْ يَطُلْ بكِ عَهْدُنا ـ   يا دارُ إلاَّ الرَّسْمُ والأخبـار

غاضتْ بشاشَةُ صفحتَيكِ وإن تكُنْ   حفَّتْ بكِ الأغصانُ والأزهار

وعَلَتْ لِوَاءكَ ذلةٌ وكآبة   ولغَيْرِهِ التبجيلُ والإكبار

مهجورة فى موطنٍ عَمَرتْ به   للظالمين الآثمين ديار

ونُدِّدَتْ بكِ الآمالُ فى إبَّانها   وخبا ضياء للهُدَى ومَنَار

ما كان يَبغيكِ اللئامُ بِريبةٍ   لو صَدَّ عنكِ الجحفل الجرَّار

***

لله رهطٌ فيكِ أمسِ تجمَّعوا   ترْضَى الكنانةُ سَعْيَهم ، أخْيارُ

من كلِّ عالى النفس أرْوَعَ ماله   فى الدَّهر إلاَّ مَجْدَ مِصْرَ شِعَارُ

لا يَطَّبيهِ زَيْفُ جاهٍ كاذبٍ   كلاَّ ولا يغتَرُّهُ الدينار

خُلصاء مِصْرَ هُمُ وَصَفْوَةُ آلها   والأوفياء لِعهـدِها الأحرار

فَخَرَتْ بِهِمْ مصرٌ وعَزَّتْ فى الورى   وبمثلهم تتفـاخر الأقطار

رهطٌ من الصِّيدِ الكرام إمامهم   سعدُ الرئيسُ القائدُ المغوار

كم رَنَّ فى ناديكِ عالى صوته   بالحقِّ يَستخذى له الفُجَّار

ما كان أفخَمَ ذاك مظهر سُؤْدُدٍ   لَوْ دَامَ منـه سُؤْدُدٌ وفخار

غيظَ العداةُ له وكادوا كيدهم   حتى عَلاكِ الوَهْنُ والإقفار

سَدُّوا الطريق إليكِ أو بعثوا بمن   لا ترتضى مصرٌ ولا تختار

***

فصول ملخصة فى الفلسفة الألمانية

١٣ – تطور الحركة الفلسفية فى ألمانيا

فردريك نيتشه

للأستاذ خليل هنداوى

ونظرة واحدة الى المواد التى شاء أن يلم بها ترينا ما بذل صاحبها من قلبه وعقله فى التحليل والاستقراء ، معالجاً الأدب اليونانى وتاريخ اليونانية القديمة ، والفصاحة اليونانية وتاريخ الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون . وبعض نظرات عميقة ينفذ بها الى بعض فلاسفة أو شعراء . وقد قدر بنفسه أنه منجز خلال سبعة أعوام أو ثمانية درس كل ما يتعلق ببراعة اليونان . وأقدم على المفاداة بعشر سنوات من عمره ليكمل درس المسألة اليونانية من جميع وجوهها ، ولكن – ويا للأسف – ظلت هذه الأفكار صوراً مقتضبة ومقاطيع صغيرة غير كاملة . لأن صحته المختلة حالت بينه وبين تقديم ما ينبغى له لمثل هذا الأمر ، فاثنى عن عمله هذا ، ولكن الصور التى تركها تكاد لا تخفى عنا الفكرة العامة التى أراد نيتشه أن يصورها وينشرها

يعتقد نيتشه بما اعتقد به معلمه « شوبنهاور » بأن جوهر الوجود هو الارادة ، وهذه الارادة واحدة عند كل الكائنات ، وهى تتجلى بثباتها وقوتها فى جثمان الخليقة ؛ على أن هذه الارادة هى شقية تفتقر الى الرحمة لأنها تثابر على الجهاد والمقاومة فى هذا الوجود ، وهى موقنة عالمة أن نتيجة المعركة عليها لا لها . « وهل الحياة إلا أن تريد شيئاً بدون سبب ، وأن تتألم دائماً ، ثم لا ينتهى الألم إلا بالموت . . . وهكذا تقابل الحياة الأحياء حتى يتفطر الكون ويعمر فساده » . إن الوجود فى نظر العقل غير كامل ، لأن نواقصه كثيرة ، وعنصر الألم فيه غالب على السعادة والراحة ، وبهذا يقضى على العقل أن يطوى الارادة على نفسها ويسحقها من وجوده ، واذا انعدمت الارادة انعدم الوجود نفسه ، لأن الوجود ما هو إلا الارادة الفعالة . ولكن نيتشه لا يذهب الى هذه النتيجة التى أدركها شوبنهاور . فالوجود الذى لا يكمل فى نظر العقل – عند شوبنهاور – فانه يكمل كأثر فني يحمل الى صاحبه الغبطة الفنية . وفى مثل هذا الافتراض الذى يفترضه نيتشه يرى من واجب كل انسان أن يستنفد وسعه ويبذل جهده فى امتلاك نصيبه من هذا الجمال ، باحتوائه على ما فى نفسه من معنى الجمال ، وبتأمله للوجود ولنفسه بعين الجمال

إننا فى ساعة الابداع الفنى نشعر بغبطة لا تحد ولا تحس إذ هى غبطة المبدع . وإذا كان الانسان فى هذه الحياة فرداً قائماً بذاته ، يحيا فى عالم المادة ، فهو فنان بطبيعة خياله المبدع الوثاب . يستطيع أن يبدع إبداع من يخلق ويصور – إن كان فناناً مبدعاً ، ويقدر أن يكون مبدعاً فى تفكره فى الأثر الفني الذى يبعث فى نفسه خياله الباطني ، لأنه يشاطر المبدع فنه ويتحد معه فى تخليقه . وهو فى كلتا الحالتين متخيل صوراً وألواناً جديدة تبعث فيه الغبطة الفنية ، ولا يضر هذه الصور أن تكون أخيلة أو أحلاماً ، لأن أجزاءها مقتبسة من الوجود ، ولا ينبغى لهذه الصور أن تكون صوراً ضاحكة تملأ الجو أفراحاً ، فقد تكون صوراً تملأ الأفئدة ذعراً والنفوس شقاء ، وتكون بعد ذلك كله جميلة . . .

هذه الخاصة العاملة على إبداع الصور والأوهام ، وتغليب الناحية الخيالية على الناحية الحقيقية يدعوها نيتشه « الخاصة الأپولونية » : نسبة الى « أپولون[1] » ، والفن الأپولونى عنده هو النحت والتصوير والشعر القصصى . إن الرجل الأپولونى يستنقذ نفسه من التشاؤم باستسلامه للجمال . يقول للحياة : أنا أريدك ، لأن صورتك جميلة ، يجدر بها أن تكون مادة للحلم والخيال . . .

(١) إله الشعر والموسيقى

يا دارُ أنت رجاء مصرَ وفى سوى ناديك ليست تُبْلَغُ الأوطار
لن يستقيم لآل مصرَ بناؤهم يوماً ورُكنك بينهم منهار
مادام رَبعُك موحشاً قفراً فلن يَلْتَامَ شَمْلٌ أو يعزّ ذمار
يَبقى بغيرك أمرُهم فوضى به يلهو اللئامُ ويعبث الأغرار
لو يعلمون سَعَوْا إليك ومَسَّحُوا إما سعَى للكعبة الزُّوَّار
حتى يعودَ الحقُّ فيك لِحِضْنِه ويَعِزَّ فيكِ ذمارُهم يا دار

فخرى أبو السعود

ولكن الانسان ليس بكائن يمكن تحديده بالذاتية ، أو بالانفصال ، فهو كائن يشعر بنفسه كارادة متفوقة ، ويحس أنه قطعة من هذه الارادة المتوزعة في الوجود كله ، ويدرك أنه متحد مع كل ما يحيا وما يتألم ، تام الاتحاد مع الوجود . والانسان – في حالة ذهول أو سكر ناشيء عن مادة مخدرة ، أو إزاء حوادث طبيعية كعودة الربيع – يشعر بأن هذا الحاجز الذاتي الذي يفصله عن الوجود قد وهى وزال ، ويجد نفسه متحدة مع الطبيعة كلها ، وهذا الطور ما يدعوه نيتشه « الطور الديونيزوسي » ، نسبة الى الاله « ديونيزوس[1] » ولغة الرجل الديونيزوسي هي الموسيقى التي يعتبرها شوبنهاور لغة الارادة الخالدة بل صورة الرغبة الدائمة المستترة في باطن الوجود ، والانسان – في هذا الطور – يحس بالألم الشامل والوهم الباطل وشقاء الفردية ، فيكاد يجنح الى التشاؤم ، ولكنه يهتز قليلاً ويشعر بخلوده ويدرك أن ارادته المفصولة إنما هي جزء من ارادة الوجود ، فتراه حيال كل مظهر من مظاهر الفناء ، أو مصرع بطل من الأبطال ، تراه يشعر بأن حياة الارادة الباقية لم تطفأ بموت البطل . إن الرجل الديونيزوسي ينقذ نفسه من التشاؤم لأنه يبصر خلود الارادة ، والحادثات تمر والتقلبات تستمر ؛ هو يقول للحياة : أنا أريدك ! لأنك أنت الحياة الخالدة

وبهذين المذهبين يرى نيتشه أن اليونان قد قهروا التشاؤم ، وجعلوا الحياة جميلة زاهية ؛ ويرى أن التفاؤل اليوناني لم يكن وليد الخفة والعبث ، أو تجاهل لما يغمر الوجود من شقاء وألم ، ولكنه تفاؤل تولد من مثل أعلى وغاية أسمى ؛ والمؤرخ الذي يستقريء هذه التأثيرات في مطلع تاريخهم يتبين له أن القوم عرفوا الألم كما عرفناه ؛ وتذوقوا الشقاء كما تذوقناه

سأل ملك « ميدا » الفيلسوف « سيلين » ما عساك تجد خير شيء للانسان ؟ فأجاب الفيلسوف : « يا ذرية التعس والألم ، وأبناء المصادفات والمتاعب ! لماذا تنقمون علي إذا جئتكم بما لا ترتاح له آذانكم ؟ إن الخير الذي لا خير بعده هو ألا تكون – أيها الانسان – مولوداً ، وألا تكون موجوداً ، وألا تصير شيئاً ؛ والخير العاجل لك أن تلقى مصرعك الآن ! » فهذا الألم المنبعث من أعماق الروح الشاعرة بالأوجاع والشقاء الغامر الأرض ، هو الذي أهاب باليونان ودعاهم إلى أن يكملوا معنى الحياة الناقصة بخلقهم آلهة هي آلهة جبال « أولمبوس » ، هذه الآلهة هي نتيجة إبداع الروح « الأپولونية » وانتصارها . أرادوا أن يستنقذوا أرواحهم من حقيقة الوجود المروعة فعمدوا الى خلق شعب من الآلهة وجملة أوهام طبقوها على الحياة التي يرونها صالحة للظهور ؛ وهم مؤمنون بأن هذه الآلهة تعمل معهم على مجابهة التشاؤم . وهكذا لبست الحياة عندهم لباساً جديداً ، وظهرت ظهوراً جديداً ، وغدت جميلة في عيونهم لأن آلهة جميلة تتصرف بها وتقبل بأقدارها ؛ وهوميروس هو المثل الأعلى للروح الأپولونية ؛ ومقاطيعه وقصائده هي نشيد انتصار الحضارة اليونانية على سيئات الأجيال الغابرة ، وهي التي خلقت هذه الروح التي تغلب اليونان بأوهامها وأخيلتها على كآبة الحياة الحقيقية وقبحها . وإزاء هذه البراعة الأپولونية نشأت البراعة « الديونيزوسية » أو براعة المأساة ؟

« يتبع »

خليل هنداوي

(١) إله الخمرة عند اليونان ، وهو « باخوس » عند الرومان

القصص

من أساطير الإغريق

نهاية هرقل

للأستاذ دريني خشبة

١٢ — رحلة هرقل إلى الدار الآخرة

لم تكن محفوفة بالمكاره هذه الرحلة إلى الدار الآخرة ؛ فقد سلك هرقل سُبُلاً من قبل كان الموت يجثم له في كل خطوة فوقها ، وكانت المنايا تتربص به ، ثم تفر منه آخر الأمر ، كأنما كان هو موتاً للموت ، ومنية للمنية ، وفناء للفناء

أسقط في يد حيرا حين عاد هرقل بتفاحات هسپريا ، واستولى عليها الجزع حين رأت إلى التنين لادون مضرجا بدمه ، فوسوست في صدر يوريذوس أن يأمر البطل فيحضر له سيربيروس من الدار الآخرة ! !

وسيربيروس هو ذلك الكلب الهائل ذو الرؤوس الثلاثة ، الذي رأيناه يعدو في إثر بلوتو — إله الموتى — حينما زار هذه الدار الأولى ليخطف پرسفونيه ، وهو أبداً يربض عند قدمي سيده الجالس فوق عرش هيدز ، يقلب في غيهب السفل أعينه الست ، كأنها أنجم تحترق في لجة ليل بهيم ، وهو أيضاً أداة تعذيب في دار الأبدية ، ينشب أظفاره في أرواح المجرمين ، ولا يفتأ يكرع من دمائهم حتى يروى !

وكانت الحرية تشيع بالآمال في قلب هرقل ، وكان هو قد برم بهذا الرق الأسود الذي كتبته عليه السماء ؛ فانطلق يعدو إلى دار الموتى ، وبين يديه طائفة من الآلهة تهديه وترشده ؛ حتى إذا كان قاب قوسين من السدة القائمة الدجوجية ، ووجد سيربيروس مقعياً يغط في نوم عميق ، وإله الموتى مستلقياً يقلب في حضنه القوى پرسفونيه الجميلة ، انقض على الكلب فخنقه حتى لا يعوى فتعاويه كلاب الجحيم كلها وتكون هنالك الطامة . . . ! وانفتل من دار الظلمات وفي نفسه من الرحمة لهذه الأرواح الهائمة ما أسال دموع الحنان من عينيه الحزينتين !

وانخلع قلب يوريذوس حين لمح الكلب الهائل !

لقد كانت الظلماء تتدجى في أشداقه فتكسف الشمس الوضاءة ، وترد نور النهار المتلألئ ديجورا يلج في ديجور ! !

وكان الزبد ينتثر من أفواهه كأنه ندف يساقط من عل في ليل عاصف !

وكان ذيله الطويل الضخم يتلوى ويتثنى كأنه ذنب هيدرا أو ذيل لادون !

وكان يعوى وينبح فيقلقل الجبال المجاورة ، ويزلزل قصور أرجوس !

وانظر إلى الملك الجبان !

لقد قفز من عرشه مما ألم به من الهلع ، وانطلق إلى مخزن الغلال المجاور فاختبأ في خابية عظيمة أغلقها على نفسه حتى كاد يختنق ، وآلى لا يخرج حتى يعود هرقل بسيربيروس إلى هيدز !

* * *

وهكذا أصبح هرقل حراً ، وألقيت عن كاهله هذه الربقة التي أذلته طويلاً ، وتلفت حوله فوجد الحياة تتبرج كأنها غانية ، ووجد كل شيء بساماً ضاحكاً يدعوه إلى اللهو والمرح ، والأخذ بنصيب مما تفيض به هذه العاجلة من مباهج ومغريات

وذهب في رهط من أصدقائه والمعجبين به من الآلهة إلى الأولمب ليلقى أباه وليقدم له طاعته ، وليرى هل يتوب عليه من غضب لا يستحق منه كثيراً ولا قليلاً . . .

ولقيه أرباب الأولمب هاشين باشين ، وأخذوا يتندرون

بمجازفاته العجيبة التي انتصر فيهـا على سبع نيميا والأفعوان هيدرا ومحاربات الأمازون . . . . .

وأغرقوا في الضحك حين ذُكر أطلس وما كان من أمر الحوية !! . . . .

واقترح هرمز على الآلهة أن يصارعوا هرقل ويلاكموه ، ويباروه في العدو والسباحة وألعاب القوى ، لتتم بذلك بهجة لقائه ، وليعبروا عما يكنونه له من حب ، ويضمرون من إعجاب .

فأقيم ملعب الأولمب الفخم ، وشيدت على جوانبه المدرجات العجيبة التي تتسع لألف ألف من الآلهة وأنصاف الآلهة وكبار المدعوين من عباد برومثيوس(١)

وتم مهرجان الألعاب ، وحاز هرقل قصب السبق في أكثر المباريات ؛ وكان هذا هو الأولمپاد(٢) الأول الذي أخذ اليونانيون يحتفلون بمثله كل خمس سنوات

وتتابعت السنون . . .

ومر هرقل بقوم يبكون ؛ وقيل له إن أدميتوس(٣) ملك تساليا مرض ، فتمنى على الآلهة أن تمنحه الخلود في هـذه الدار الدنيا ، فأجيب إلى ما تمنى ، بشرط أن يحل محله أحد أهل بيته إذا حضره الموت ، وهنا تقدمت زوجه المخلصة السستيس فضحت بنفسها كي ينجو بعلها من الموت ، وليخلد ماشاء له الخلود .

وماتت الزوج الوفية فداء الملك . وينظر أرميتوس إلى ملكه الشاسع فيراه بغيضاً لا خير فيه ؛ ويكون في حاشيته فيشعر بوحشة وانقباض كأنه يعيش في صحراء ؛ ويقدم إليـه الطعام فلا يكاد يسيغه ؛ وترقص القيان بين يديه فيثرن في نفسه الاشمئزاز كأنهن جِنّة تدمدم في ظلام غابة . . .

ويبغض الدنيا . . .

ويود لو كانت زوجه الجميلة المخلصة إلى جانبه لحظة واحدة وتتلاشى الحياة بكل من فيها . . . !!

لذلك يبكي الملك ، ويبكي حوله شعبه الأمين !

ويذكر هرقل أنه وحده يستطيع أن ينفذ إلى هيدز ـ دار الموتى ـ فيستنقذ ألسستيس من براثن الفناء ، ويردها معززة مكرمة الى زوجها المسكين فيهدأ قلبـه ، ويرقأ دمعه ، وتستقر نفسه ، ويفيء الى أمر هذا الشعب الذي تكبكب حوله يعول وينتحب . . .

(١) هو خالق البشر فيما تزعم الميثولوجيه — العدد ٩٩

(٢) الأولمپاد هو دورة الألعاب الأولمبية

(٣) أسطورة أدميتوس وزوجه السيستيس وطرد أبولو من السماء من أبرع الأساطير الاغريقية وقد نعرض لها قريباً

ونفذ البطل الى ظلمات الدار الآخرة ، وسأل الأرواح الهائمة فدلته على منامة ألسستيس ؛ فتغفل حارسها الجبار وخنقه ، واختطف الفتاة الناعسة وفر بها دون أن تشعر به زبانية پلوتو وعادت الطمأنينة الى قلب الملك ، ورفرف السلام على المملكة

* * *

هرقل وأومفاليه

وذهب هرقل يذرع الأرض ، واشترك في حملة الأرجونوت ضد السنتور(١) ، وانضم إلى الأغريق في حصارهم الأول لطروادة ولقي رجلاً ذا خيلاء وكبر فقتله ظالماً ، وكان زيوس ينظر من علياء الأولمب ، فعبث وبسر ، وقضى أن يظل هرقل في خدمة أومفاليه ملكة ليديا بضع سنين



هرقل وأمفاليه (تصوير موبان)

وتجهم هرقل ، ولكنه لم يكد يبدأ خدماته التافهة للملكة ، حتى راعه جمالها ، واستهوته مفاتنها ، وأحس للمرة الأولى في حياته المشحونة بالمخاطر أن قبساً يتأجج في قلبه يوشك أن يجعله ضراماً

وحلا في فمه ما مر من الذل ، وطاب ما كره من العبودية ، وود لو قضى الحياة في ظلال هـذا الحب الأول مغموراً برضى الملكة ، سعيداً بما أفاء عليه جمالها من هناء ونعيم وبال . ولكن الآلهة لم تقر بهذه السعادة فأرسلت بطلها لمآرب أخرى

(١) لهذه الحرب أسطورة طويلة آثرنا ألا نثبتها مخافة الاطالة

زواج هرقل

وطوّف هرقل فى أقصى الأرض حتى انتهى إلى كاليدون ، مملكة أونيوس ، ولقى ابنته الناهد الهيفاء تجمع الزهور فى خميلة غناء . وكان قلبه قد نهل من خمرة الحب ، وكانت عيناه قد ثقفتا نظرات الغزل ، وكان لسانه قد انحلت عقدته عن وحى الهوى ، فانطلق يلاعب الفتاة ويداعبها ، وينمق لها من الورود والرياحين باقات تتكلم بالشذى ، وتهتف بالخُضرة والُحمرة ، وتصافح الروح بالعبير الفياح

وأنِسَت ابنة الملك بهرقل واطمأنت اليه ، وبثها وبثته ، وتشاكيا ماشاء لهما الغرام الروى ، والحب الفتى ، والدمع المسكوب !

وعلم منها أن أخيلوس ، أحد آلهة الأنهار ، قد خطبها إلى والدها ، وأن الملك قد أجابه إلى ما أراد :

« فهل أسعد بأن تزيح هذا الكابوس عن قلبى ؟ »

« وتقف حائلاً بينى وبين الشقاء الذى يتربص بى ؟ »

« فنكون أهنأ زوجين ينعمان بلذة الحب ، ويرفلان »

« فى برد السعادة ، ويتغنّيان مع الطير ألحان الهوى »

« والحياة ! ! ... ... »(٢)

هكذا بكت دِيانيرا إلى هرقل ، فهاجت فى قلبه نخوة البطولة ونَحِيزة المغامرة ، وأطلقت فى كل عضلة من جسمه المكتنز كهرباء الحماسة والاستبسال :

« قرّى عيناً أيتهـــا الحبيبة ، فليس أيسر »

« على هرقل من حرب الآلهة . لقد صرعتهم »

« جميعاً فى حفل الأولمب ؛ وقد مر بى من المغامرات »

« ما ينخلع من بعضه قلب أخيلوس ... ... »(١)

واستأذن هرقل على الملك ، وحيا أحسن تحية ، ثم طلب يد ديانيرا . . . . وكان أونيوس يعرف من بأس البطل وعظيم قوته ما يعرف كل ملوك هيلاس وأمرائها ؛ وكان قد أجاب أخيلوس إلى خطبته وهو يعلم من سخط ابنته على هذا الزواج ما يعلم ؛ فلما تقدم اليه هرقل استبشر وقال : « ... ... لقد كنت يا بنى وعدت أخيلوس أن يبنى على ديانيرا ، وهو من تعلم فى الحول والطول والجبروت ، ولكنى مع ذاك لا أفضله عليك ، بل نجعل لكما يوماً تلتقيان فيـه ؛ فمن يصرع صاحبه كان كُفؤاً لديانيرا »

وقبـل هرقل ، ورضى أخيلوس ؛ واجتمع الناس من كل فج يشهدون الصراع العظيم بين الجبارَيْن العنيدين . . . وكان كلٌّ واثقاً بنفسه ، لا يخامره أدنى شك فى أنه فائز على صاحبه . فلما تقابلا ، ثار من حولهما النقع ، وكانت أنظار الناس كالمتصلة بسواعدهما بأمراس شِداد ؛ وبعـد قليل أخذت الأرض ترجف من تحتهما ، وطفق الملعب يهتز بمن فيه من خلق كثير . . . وكانت ديانيرا تشرف من مقصورتها وتكاد تغص بريقها إشفاقاً على هرقل ، وكان هو كذلك ، كلما خارت قواه ، نظر اليها النظرة تتجدد بها روحه وتتضاعف مِرّته ويمتلئ قلبه بالآمال . . . . . .

وكأن أخيلوس قد فطن إلى جبروت هرقل ، وكان يستطيع أن يتشكل بأى خلق أراد ، فجعـل يتقلب من ثعبان ضخم الجثة ، إلى تنين عظيم الجرم ، إلى أسد بادى النواجذ ، إلى . . . ماشاء له سحره وقوة حيلته من أشكال وأوضاع . . : ثم انقلب إلى عجل جسدٍ ذى قرنين كبيرين ، وشرع ينطح هرقل ، وهرقل يتقيه ، حتى استطاع البطل أن يأخذ بقرنيه بكلتا قبضتيه ، وجعل يخبط برأسه الأرض فى عنفٍ وغل ، حتى كُسر أحد القرنين وفرّ أخيلوس من الميدان هارباً . . . لايلوى على شيء . . .

ودوى الملعب بالتصفيق ، واندلعت الحناجر بالهتاف ، وتدفق الناس نحو هرقل يحملونه على الأعناق . . وتقدمت ديانيرا فحياها البطل بقبلةٍ فِرْدوسيّة خالدة ، مازال صداها يرن على شفاه المحبين . .

وتم العُرْس . . .

وانطلق هرقـل بزوجه يجوب الآفاق . .



صراع هرقل وأخيلوس (تصوير جيد)

(١ - ٢) هذه السطور من سوفوكليس فى مأساته الخالدة « عذارى تراقية »

وحدث أن اعترضه نهر عظيم لم يستطع أن يعبره ومعه ديانيرا . فبينما كان يعمل فكرته كيف يقتحمه ، إذا سنتور عظيم يعرض عليه أن يحمل زوجه فيعبر بها إلى العدوة الثانية سالمة آمنة ، ثم يرتد فيحمله اليها كذلك ؛ وقبل هرقل ، ونسى ما كان بينه وبين السنتور من عداوة وبغضاء ، وحرب قديمة تدمى لها قلوبهم ، وتقرح نفوسهم ، وأعان هرقل زوجه فاستوت على ظهر السنتور ، وخاض بها الماء وهو يطفر من الفرح ، ويحلم بالمنى والآمال . فما كاد يبلغ الشاطئ الآخر حتى عدا عدواً شديداً ليكون بمنجاة من سهام هرقل . ولكن ديانيرا صرخت صرخة داوية نبهت ما غفل من سمع زوجها ؛ فلما فطن إلى خيانة السنتور ، شد قوسه العظيمة ، وأرسل إلى دبر السنتور سهماً مراشاً كان قد شرب من دم هيدرا حتى ارتوى !

وأحس السنتور بسم الموت يخترم حشاشته ، وبرودة الفناء تشيع في جسمه البدين ، فأقسم ليكيدن لهرقل ، فيذيقه من هذا السم الذي سقى به سهامه ما يودى به . فقال لديانيرا : « أيتها الفتاة ! لا تثقي أن حب هرقل دائم لك ، بل أكبر الظن أنه منصرف عنك إلى فتاة أخرى تكون أسبى وأصبى . وما أحسبك إلا ذاكرة كيف كان يتفانى في حب أومفاليه . فخذي قميصي هذا فاحفظيه لديك ، حتى إذا أحسست من زوجك جفوة ، أو رأيت فيه ازوراراً ، فابعثي به إليه ليلبسه ، وألقى في روعه أنه يحفظه من أعدائه . فانه إن فعل ، عاد إليك بقلب مفعم بالحب ، ونفس ملتاعة كلها شوق وتوق . . . » وخر السنتور ميتاً !

وأخذت ديانيرا القميص المضرج بالدماء المسمومة ، وفي نفسها من الهم شيء عظيم ! « من أومفاليه هذه ؟ ! كان يحب أومفاليه ؟ كان يحب فتاة غيري ؟ وحق زيوس لأسألنه ! هاهو ذا قد سبح إلى الشاطئ ! »

ولقيته فسألته ، فاعترف لها بكل شيء ، وطمأنها على محبته وإخلاصه . . . ولكن قلب المرأة لا يعرف هذا الاستسلام المعسول للكلمات الناعمة ! فقد ظل الوسواس يدب في نفس ديانيرا ، حتى كان هرقل في إحدى جولاته ، وكانت هي عند أبيها ملك كاليدون ؛ فطالت غيبته ، وذهبت بها الظنون من أجل ذلك كل مذهب

وذكرت القميص ورددت عبارات السنتور ، فنهضت من توها وأرسلته مع إحدى وصيفاتها (١) إلى هرقل في منآه البعيد . وأوصت الوصيفة أن تذكر له من مآثر القميص ما وسوس به السنتور . فلما لبسه هرقل ، التصق به التصاقاً ، وأخذ السم يشيع في جسمه الحديدي فيذيبه ويفتته . . .

وصرخ البطل بلا جدوى ! وكلما حاول انتزاع القميص كان جلده يتمزق ، ولحمه يتهرأ ، ويتصبب الدم من فوق ومن تحت . . . ثم أخذت نفسه تساقط أنفاساً . . . وطفقت روحه تودع هذا الجثمان الهائل في دموع سخينة وآهات حارة . . .

ولفظ نفسه الأخير وهو يبكي ويقول : « فدى لك نفسي . . . يا . . . ديا . . . نيرا ! »

***

« وهوى الى الأرض ما كان من الأرض ، ورفرفت »
« الروح الكبيرة في جمهرة من أرواح الآلهة التي أقبلت »
« من الأولمب تزف ابن زيوس العظيم . والكل ضاحك »
« مستبشر أن ألقى أخوهم حمله الثقيل ، وخرج الأولمب »
« جميعاً يستقبل البطل ويهتف باسمه في عليين ! . . . (٢) »

***

وحمل الجثمان الطاهر الى جبل أويتا ، حيث دفن في إجلال وإعظام ، وحيث وقفت ديانيرا ترويه بدمعها المزيز ؟

دريني خشبة

(١) في أحد المصادر أنها أرسلت خادمها الصناع ليخاس
(٢) هذه السطور من شللر الألماني . وفي بعض المصادر أن الذي أثار الغيرة في قلب ديانيرا ، أنها سمعت أنه عاد الى احدى صويحباته القدامى (ايول) وأنه هام بها . ومع ذاك فلو علمت أن القميص مسموم لما أرسلت به إليه

قلب فتـــاة

للآنسة ابنة الشاطىء

لعلها حنقت عليّ حينما تقدمت إليها فى لوعة صامتة ثائرة ورجوتها أن تبكي وأن تسرف فى البكاء ؛ ولعلها أنكرت منى أن أفاجئها فى وحدتها وقد استنامت إلى أحزانها وأسلمت أفكارها إلى ذلك الفضاء الرحب الواسع الذى نود لو نفر اليه ، وإن كنا نجهل أين مكانه منا وأين السبيل اليه ! لقد كنت أعلم يقيناً أن هذه الكلمات التى اصطلحنا على تسميتها كلمات المواساة ، والتى تعود المرء منا أن يلقيها على مسامع المحزون ، لا تحمل عن هذه المسكينة شيئاً مما ترزح تحته من أعباء ثقال ، وكنت أعتقد أنني إذ كنت لا أملك إلا الوقوف بجانبها أفرض عليها سماع كلمات المواساة المحفوظة ، وأحتم عليها أن تزدردها كما تزدرد قطع الثلج ، نخير لها أن تظل هكذا فى ذهولها وإطراقها ، لعلها واجدة من خداع الخيال ما ينسيها شيئاً من رهبة الحقيقة الواقعة ، ولو إلى فترة قصيرة ! لكني كنت أحبها ، وأتألم لها ، وكان هذا الحب من القوة والعنف ، بحيث ينكر عليّ أن أظل واجمة وهي تكاد تحترق أمامي فى صمت ، وأن أقف مكتوفة الأيدى ، بينما أرى ذرات كيانها المضطرب تكاد تتبخر فى الفضاء الأثيرى المخلخل بعد العاصفة ... آه ! كم كنت أود أن أحترم صمتها ، وأن أتركها فى جلستها المفجعة ومكانها المنفرد ؛ ولكني خشيت أن يهدمها الحزن المكتوم . وكان لابد لى أن أقول شيئاً ، فلم أجد ما أقوله إلا أن آخذ رأسها بين يديّ وألح عليها أن تمعن فى البكاء

***

لم تكن هذه الفتاة من أولئك الفتيات اللائى يحملن قلوبهن فى أكفهن ويخرجن بها إلى الأسواق للبيع أو الاستئجار ، وكان كل من يعرفها لا يكتم إعجابه بذكائها وجاذبيتها وسمو أخلاقها ، ولكنها كانت لا تكترث لشيء من هذا إلا كما يكترث الغني ببضعة مليمات ! كانت تعلم يقيناً أن أثمن شيء لديها ، هو قلبها الحى الكبير ، وكانت تعتز به اعتزاز الانسان بأثمن ما يملكه ؛ وكلما أثنى الناس على ذكائها أو حسنها ، ابتسمت ابتسامة يتجسم فيها عدم الاكتراث ، وتساءلت فى نفسها : إذا كان هذا هو مقدار احتفال الناس بتلك الظواهر المادية التافهة ، فكم يكون مدى احتفالهم بالكنز الذى فى صدرها ؟ ! ذلك القلب المليء بالحياة ، الشغوف بالتضحية ، النزاع إلى المثل العليا ، والذى يود لو تتاح له الفرصة لاسعاد الآخرين !

ولقد أحبت هذه الفتاة ! أحبت بكل ما فى طبيعتها من إسراف وغلو ، وبكل ما فى قلبها من قوة وحياة ، وما فى نفسها الشمرية من ثورة وحرارة ! وكان حباً نبيلاً تسامى شيئاً فشيئاً حتى تخلص من أدران الماديات ... ولعل الشاب الذى أحبته لم يكن بادىء ذى بدء يفهم معنى ذلك النوع من الحب ، ولكنه أدرك على ممر الأيام أنها قدمت إليه قلباً من ذهب ، وحباً نبيلاً أشبه بالخيال لغرابته وندرته ، فهاله ما قدمت ، وصمم على الاحتفاظ بحبها حتى يضمهما اللحد ، وعلى أن يمهد لها حياة سعيدة ولو كلفه ذلك حياته . واستبد به بعد ذلك حب قوى غلاب جعله يرى الحياة بدونها جحيما لا يطاق ؛ وكان كلما تسامى إليها وتوغل فى فهمها ودراستها ، اتضحت له قيمة ذلك الحب الذى لا يعرف الأثرة ولا الاستهتار ، وغمرته لذة روحية تجعله فى شبه ذهول ... ذهول الحالمين السعداء

***

عرفته فى اكتوبر سنة ١٩٢٩ ، وكان لايزال طالباً بالسنة الأولى باحدى المدارس العليا ، وكان تعارفهما طبيعياً ووليد المصادفة البحتة . فقد نزح والداه من الريف إلى القاهرة ، ليحميا وحيدهما من بلدة المغامرة واللهو والفساد ؛ واتخذت الأسرة مسكناً متواضعاً فى بيت كانت تسكن به أسرة الفتاة ؛ ومرضت الأم مرضاً أقعدها عن مباشرة أعمال أسرتها الصغيرة ، فتطوعت الفتاة لمساعدتها ، لأنها جبلت على حب الخير ؛ ثم كانت ساعة من تلك الساعات التى ينسى المرء فيها نفسه وتقاليده وارادته ، فتقابلت الفتاة المحتجبة الحريصة ، بالفتى الشاب المثقف ، ولم يكن لأحدهما يد فى تلك المقابلة . كان ذلك فى مساء ليلة ليلاء من ليالى الشتاء القاسية ، وقد آوت الجنوب إلى المضاجع فراراً من ثورة الطبيعة ؛ ولاذ الناس بالبيوت ينشدون الدفء فى صمت وسكون . وكان هناك شعاع حائل ضئيل ، ينبعث من نافذة الأم المريضة ، ويفنى بعد قليل فى جوف الظلام . وقد رقدت المسكينة حين استبدت بها نوبة قاسية أذهلتها عن كل ما حولها ؛ وكان صوت الريح يذهب بأنات الأم العليلة ، فلم يكن يسمعها أحد

سوى الشبح الأبيض الواقف بجانب سريرها ، كأنه ملاك هبط من السماء . كان هـذا شبح الفتاة النبيلة الحنون التي قامت بتمريض العليلة . وفتح الباب فجأة ، ودخل الابن الشاحب المحزون يصحبه الطبيب ، فلم تتمكن الفتاة من الخروج ، فقد كان عليها أن تصغي إلى تعليمات الطبيب ، وأن تشرح له ملاحظاتها عن درجة حرارة العليلة ، وبصاقها وطعامها ، ولم يتمكن الفتى من الخروج ، فقد كان المرض الليلي لأمه ، وكان عليه أن يصغي لما يقوله الطبيب عن سير المرض ؛ وهكذا جمعهما الحزن المشترك ؛ وأنستهما رهبة الموقف ، وشدة تفجعهما للمريضة وابنها ، ما درجت عليه من تحفظ واحتجاب

وكان لابد للفتى بعد أن شفيت أمه أن يشكر تلك الانسانية النبيلة ، وكان لابد لها أن ترد على رسالته ، لتؤكد له أنها ما قامت إلا بواجبها الانساني ، ثم اختفت تلك المراسلات الرسمية ، لتفسح المجال للتراسل الأخوي والتفاهم الروحي ، بين الشاب المعجب بنبل الفتاة ، وبين الفتاة الثائرة الحنان ؛ ووجد كلاهما لذة مبهمة في ذلك النوع من الاخاء والصداقة ، ولذ لهما أن يفرجا عن أنفسهما بالكتابة ، وكلاهما يفهم أخاه ويحيا في بيئة تكاد لا تسمح لهما باستنشاق الهواء

* * *

لم يكن مرض الأم الذي أصابها في شتاء عام ١٩٢٩ والذي كان سبباً لتعارفهما ، إلا نوبة من نوبات مرض صدري يرعى في رئتها ويأتي في مهل على ما احتازته المسكينة من جلد واصطبار ، وهاقد تمكنت العلة منها وأصبحت شبحاً هزيلاً يدب إلى القبر ، ويهدي آخر أنفاسه إلى حياتنا العاجلة

وقرر الأطباء أن تبادر العليلة إلى مصحة حلوان . . . وإلا عجل إليها الموت ؛ ولكن كيف ؟ إن الوالد الشيخ لا يملك إلا ما يسد به رمق أسرته الصغيرة ، كان يملك بضعة فدادين في مديرية الشرقية ، وكانت زوجته تملك شيئاً من الحلي ، فبذلا كل ذلك عن طيب خاطر في تعليم وحيدهما ، ولكنه نال شهادة التعليم ليعلقها على جدران الحجرة الحقيرة التي استأجروها أخيراً ليقيموا بها . ثم قبع في كسر داره بجانب أمه العجوز المريضة ، وأبيه الشيخ الفاني ! وإلا فهل يجمع الصبيان في الطرق ليلقي عليهم الدروس ، ويطبق مبادئ روسو وآراء فريدريك هربرت سبنسر مستعملاً (هدايا) فروبل و (جهاز) مدام منتسوري ؟ أم يفتح مدرسة أهلية وقد تراكمت المدارس في أحياء البلاد ، وهو بعد لا يملك ما يشتري به الدواء لأمه المصدورة العليلة ؟

كان مرهف الحس مهذب الوجدان ، وقد عز عليه أن يفقد أبواه ثروتهما في سبيله ، حتى إذا ما بلغ مبلغ الرجال كان حملة عليهما . كان يشعر بأنه مسئول عن كل ما أصاب ويصيب والديه ؛ وقد عذبه ذلك الخاطر وأمعن في إيلامه ، فأخذ يبحث عن عمل كل يوم ، ولكن ما الذي يستطيع حامل دبلوم المعلمين العليا أن يعمله ، وهو لا يملك إلا تلك الثروة العلمية المخزونة في دماغه ، لا يدري كيف يستغلها ! ولقد صبر على الجوع حيناً وتحمل الضيق أحياناً ، ولكنه الآن لا يستطيع الصبر ، إذ يرى أمه التي غمرته بالعطف والحنان ، تجود بحياتها مع أنفاسها الخافتة اللاهثة ؛ ويرى أباه يجلس ذاهلاً مطرقاً ، ينظر نظرات حزينة جوفاء إلى تلك الانسانة المخلصة الراقدة ، التي قاسمته حلو العيش ومره ثلاثين عاماً ، غمرته فيها بكل حب وإيثار ؟ !

* * *

وقف الشاب يوماً بين أبويه وقد نفد صبره وعذبه عجزه فرفع يديه إلى السماء في حركة ضارعة مبتهلة ، وتساءل بصوت متهدج حزين : « أبتاه . ! ألا أستطيع أن أصنع شيئاً لها ؟ حياتي يا أبي ما قيمتها إذا لم تكن لكما وفي سبيلكما ؟ ألا يمكنني فداؤها ؟ » فابتسم الشيخ الحزين بعد أن تحجرت الابتسامة في شفتيه أعواماً ، وقام إلى ولده البار يضمه إلى صدره ، ويغمره بقبلاته ، ثم أسر إليه أن لا وسيلة لانقاذ الأم المعذبة إلا بزواجه من ابنة عمه التي ورثت عن أبيها كثيراً من المال والعقار

طعنة أصابت قلب الفتى فأدمته ! لقد كان مستعداً للتضحية بحياته لأنها ملك له ؛ أما أن يضحي بقلبه وقد وهبه ، وبفتاته وقد وثقت به واطمأنت إليه ، فهذا ما لا طاقة له به . . يتزوج ؟ ولمن إذن يترك الفتاة الصغيرة المثقفة ؟ لقد تمكن الحب من قلبيهما ثلاث سنوات ، وكانا من الاعتزاز بهذا الحب بحيث لم يلوثاه بإباحة منكرة ! كانا يخشيان على حبهما وهو الثوب الأبيض الناصع ، أن يلوثه القليل من الغبار ، ولم تعد لهما حيلة في التخلص من سلطان هـذا الحب الذي نما مع الأيام ، فكيف يفرض عليه أبوه ذلك الثمن الغالي ؟ لا . . إنه لن يحطم قلبها ولن يكفر بالنعمة التي منحته إياها . . إنه بشر ولاحتماله حد معقول ؛ وقد أحب بكل قواه ؛ ولئن كان مسئولاً عن سعادة أمه ، فهو

مسئول كذلك عن سعادة فتاته ، فقد منحته الأولى حبها وحنانها لأن عاطفة الأمومة فيها أرادت ذلك ، بينما منحته الثانية حبها منة منها وتفضلاً . . .

لقد يستطيع أن يخنق حبه ويحطم قلبه ، ليشترى بذلك سعادة أمه ، ولكنه لا يستطيع أن يحطم قلب فتاته الصغيرة النبيلة . . .

ولكن الفتاة كانت أقوى منه . . لقد أحبته حباً صادقاً ، والمرأة إذا أحبت فعلت المستحيل فى سبيل سعادة من تحب . . . لقد عجز عن السير فى طريق التضحية الشائك ، فلتحمله هى على كتفيها غير آبهة بالأشواك تمزق ثياب راحتها ، وتسيل دماءها . ولقد أعماه الحب عن الواجب ، فلتفتح بأناملها الرشيقة عينيه ، وتوقظ شهامته ورجولته ، وحسبهما سعادة بعد ذلك إنقاذ الأبوين الكريمين

ولكن كيف تقنعه بوجوب التضحية ؟ حدثتها نفسها أن توهمه أنها تحب غيره ، ولكنها رجعت عن تلك الفكرة الروائية التى فرضها « اسكندر دياس » على المحبين ، وعز عليها أن تلوث الحب العالى بمثل هذه الأفكار ، وهو آخر ما تبقى لها من سعادة ! وأشفقت على فتاها أن تنهدم المثل العليا أمامه فيجزع وربما جحد الفضيلة وأنكر الحياة ! ثم فكرت فى أن توهمه أن أباها يفرض عليها الزواج من غيره ، ولكن هذا لن يفيد فى إيقاظ نخوته وشهامته ، وإذن فلتتقدم اليه فى صراحة وحزم ، لتعلنه أن حبها وقد تنزه عن الماديات ، أضعف من أن يحتمل تبعة موت الأم الحنون ، وجنون الأب الشيخ ، وأنها تحبه إلى الدرجة التى تخشى عليه فيها من فقد احترامها له إذا قتل أمه بأنانيته . إنها تحبه ، ولكن هذا الحب نفسه هو الذى يفرض عليها أن تتنكر له إذا لم يؤد واجبه كرجل وكابن ، فاذا ما سألها عما ستفعله بنفسها بعده ، أجابته فى رفق حازم أن لا شأن له بها ، وأن عليه أن يتزوج من ابنة عمه . . .

لها الله ! ! ما كان أنبلها وهى توصى حبيبها الذى انتزعته الأقدار منها بالرفق بابنة عمه وإسعادها وتمهيد الراحة لها ؟ !

لها الله ! ! ما كان أنبلها وقد وقفت تهمس فى أذنه ألا يحدث أمه عن تضحيته ، وألا يقدم اليها الدواء مسموماً بإشعارها أن حياتها أنقذت بهذا الثمن الغالى . . .

ما كان أنبلها وقد وقفت تبعده عنها أشد ما تكون حباً له وشغفاً به ! !

* * *

من يدرى ؟ ! ربما كان هول الموقف قد شغلها عن النظر إلى الأفق البعيد ، حيث تتجمع قطع الظلام ويتصل بعضها ببعض ! وربما كانت تجهل أن انتزاع الكلمات التى حرضت بها الفتى على الزواج من ابنة عمه ، أقسى وأشد إيلاماً من قطع لحمها وهى حية ... ظنت نفسها سعيدة ساعة خضع الفتى لحكمها ، وقامت تودعه وتشد على يده بكلتا يديها وهى تبتسم ابتسامة شاحبة ذاهلة ، حتى إذا ما تركته وتزودت منه بالنظرة الأخيرة ، أحست بالألم يحز فى قلبها ، فهرعت إلىّ - وأنا صديقتها الواحدة - كالمجنونة ، تشكو وتلتمس التشجيع ؛ ثم ركنت إلى الصمت والهدوء ، ولكنه كان الهدوء الذى يسبق العاصفة ! وكنت أعلم أن وراء مشيتها الميكانيكية المفجعة ما وراءها ! وأن تلك البسمة الصفراء الباهتة المتحجرة على شفتيها ، تخفى وراءها ناراً ترعى قلب الفتاة المسكينة . كان هدوؤها المصطنع يقتلنى ، وكنت ألمح عن كثب وميض النار تتأجج بين جوانحها وتختفى تحت رماد الحياء والمداراة ، كزبد الأفران العالية ، يبدو سطحه للعين ترابياً أدكن ، حتى إذا انفرج الزبد ترى حممه ! ولم أكن أرجو شيئاً ، إلا أن يمن الله عليها بنعمة البكاء ! !

كان حبها من نار ونور ، فلما حرمت نوره ، رأت أن تحترق بناره فى صمت ! فقد كان عليها أن تظهر للناس بسّامة ضاحكة وإلا ولغت ألسنة السوء فى سمعتها ، ولوثت حبها الطاهر النبيل ، وعبثت بمستقبل الحبيب النائى البعيد !

وكان علىّ أنا ، أن أتغنى بشهامتها ، وأن أؤكد لها أنها ظفرت من الحياة بأوفى نصيب ، حين اشترت بسعادتها سعادة ثلاثة آخرين ! وكانت تنصت لكلماتى أحياناً ثم يغلبها الضعف فتفر إلى حيث تختلى بنفسها لا لتبكى ، فليتها كانت تفعل ، وإنما لتحترق فى صمت !

ولمحتُ عن بُعد شبح العاصفة يقترب فى بطء ، فلازمت الفتاة وأنا أكاد أختنق من الحزن والألم ؛ فلما أعلن أخوها أن فتاها تزوج بابنة عمه ، أرسلت نظرات محمومة مبهمة جوفاء ! وفى بطء حزين ، قامت إلى حجرتها ، فركضت وراءها ، ولم أجد ما أقوله إلا أن أطلب اليها أن تسرف فى البكاء ، فقد هالنى تحجر الدمع فى مقلتيها أشد مما يهولنى الصراخ والنواح وانهمار الدموع ! !

ابنة الشاطىء

البريد الأدبي

الرصافي في دينه

دفع إليّ اليوم وأنا مار في سوق الحميدية أخ لنا من الوراقين الأدباء متـدين غيور ، كتاباً جديداً لأمين الريحاني اسمه : قلب العراق ، صدر في هـذه الأيام في بيروت ، وأقرأني فيه الفقرة الآتية (ص ٢٦٥) ، ولست أعرف من الكتاب أكثر منها ، فأحببت أن أنشرها ليقول فيها الرصافي كلمته ، فهو المتهم فيها ، واليه تنسب هـذه الآراء . . . وليطلع عليها حولة الكتاب ، وحماة الدين ، وورثة البيان القرآني : الرافعي والزيات وعزام ، ويروا رأيهم في هذه « الأفكار الجديدة » !

وهذه هي الكلمة بنصها وفصها :

قال :

« إن للرصافي رأياً في الوحي الشعري غريباً : هو لا يؤمن بالوحي ، أو بالحري الوحي المنزل ، إنما يعتقد أن القوة الشعرية في الابداع تتعلق بقوة الباه في الجماع ، وأن الضعف الذي يعتري القوة الواحدة يتصل بالأخرى ، إذن لابد من التوازن بينهما ، بل هو ضروري . . . (إلى أن قال) :

. . . ثم ذكر النبي محمداً ، وهو في نظر معروف شاعر عظيم على أن أجمل قصائد النبي ، أي أجمل السور القرآنية ، إنما هي التي جاء بها في عهد الاعتدال الجنسي يوم لم يكن له غير خديجة زوجاً ، أما بعد وفاة خديجة فقـد أصبح محمد مزواجاً ، وكانت القصائد ـ السور ـ في هذا العهد مثل نسائه (كذا) أي دون ما تقدم منها ومنهن

فقد كتب الرصافي سيرة النبي محمد ، وأطلعني عليها مخطوطة بيده ، في سبعة دفاتر من الدفاتر المدرسية ، فما أدهشني منها مافيها من العلم والتحقيق لأن مصادر الموضوع متوفرة لمن شاء معالجته ، وأحسن البحث والموازنة ، إنما أدهشتني القوة النافذة والمقدرة على التحليل والاستخراج ، والتفلسف في عقائد لا تستقيم بغير الايمان والجرأة والصراحة مع الاتكال على العقل والعلم فيهما

فقد استخدم في « سيرته » المصباح الذي استخدمه العلماء الأوربيون في نقد التوراة ، أي مصباح النقد الأعلى الذي ينير العلم بنور العقل والمقارنات التاريخية ، ومما يزيدك إعجاباً بالرصافي أنه لا يحسن لغة أجنبية ، فقد ركن في كل ماحلل وأوّل واستخرج واستنتج الى اجتهاده الخاص والى علومه الواحدة العربية

وإنك لتدرك الروح في مصنفه هذا إذا ماعلمت رأيه بالله ، فقد قال لي مرة : إن الآية لا إلـه إلا الله ، لا معنى لها ويجب أن تبطل ، أو تبـدل بالآية ، لا إلـه إلا الوجود ، أي أن الكون هو الله ، والله هو الكون ، هي عقيدة البانيتزم أي الحلول وهو فيها على اتفاق والزهاوي ، قد يهمل وينسى كثير من شعر الرصافي في المستقبل ، وتظل سيرته النبوية من الكتب التي تقرأ وتكتنز ذاك هو الرصافي في دينه » اهـ

فما هو رأي الشاعر الكبير الأستاذ معروف الرصافي ؟ . . .

دمشق — علي الطنطاوي

(الرسالة) لم نقرأ كتاب الريحاني لأنه لم ينشر في مصر ؛ ولكنا نعلم أن حكومة العراق صادرته ؛ وربما كان هذا الهتر من أسباب هذه المصادرة ؛ على أن الرصافي قد يقول شيئاً من هذا الكلام في ساعة لهوه ليطوى في بساط الشراب ، لا لينشر على الناس في كتاب ! فذنب (الفيلسوف) الذي روى ، أقبح من ذنب (الأديب) الذي تحدث ! والكلمة قبل كل شيء للأستاذ الرصافي

الى الدكتور عزام

في العدد ٨٧ من (الرسالة) نشر الدكتور عبد الوهاب عزام « قصيدة تاريخية » خطيرة بعثها بعض أهل جزيرة الأندلس للسلطان بايزيد العثماني يستغيثون به مما حلّ بهم من القواصم والدواهي في دينهم ودنياهم بعد أن نقض الاسبان العهد والميثاق الذي أُخذ عليهم . وقد وصلت القصيدة للدكتور عزام بواسطة العلامة الشيخ الجليل الراوية خليل الخالدي الذي نقلها من نسختين

بقلم مغربى رآهما بمدينة فاس . وختم الأستاذ عزام تمهيده للقصيدة الثانية بقوله : ولسنا ندرى ما كان جواب السلطان بايزيد على هذه الدعوة الملهوفة والقصيدة الباكية . فمن عرف شيئاً فى هذا فليخبرنا مشكوراً »

وأنا أخبر الأستاذ الفاضل – ولا شكر – بأن القصيدة الثانية ذكرها كلها الشهاب أحمد المقَّرى صاحب نفح الطيب فى كتابه : « أزهار الرياض . فى أخبار القاضى عياض » (١ : ٩٤) وهو كتاب طبع جزؤه الأول بتونس سنة ١٣٢٢ ويوجد بعض ثانيه خطاً ؛ كما ذكر قصيدة ميمية بعثها أبو عبد الله بن الأحمر لسلطان المغرب يعتذر فيها عما فعل وذلك بعد نزوحه لفاس واستقراره بها حيث توفى وترك ذرية

أما جواب السلطان (أبا يزيد الثانى ابن محمد الفاتح ووالد سليم الأول) فيظهر أنه سعى لاغاثتهم بما أمكنه مع ما عرف به من الرغبة عن الحرب والاخلاد الى السلم ، فقد ذكر الأستاذ حسين لبيب فى كتابه تاريخ الأتراك العثمانيين (٣ : ٣٩) أن (كمال ريس) أول مشاهير أمير الايات الترك ، كان أول ما ظهر اسمه : (سنة ١٤٨٣ لما جُعل قائداً للأسطول الذى أرسله السلطان بايزيد غوثا وإعانة لمسلمى غرناطة الذين أرسلوا لسلطان البحرين والبرين مستجيرين به من ظلم وتعدى نصارى اسبانيا)

فيكون بذلك قد كاتب الاسبان فى خطبهم أولاً :

وقد بلغ المكتوب منكم إليهم   فلم يعملوا منه جميعاً بكلمة
وما زادهم إلا اعتداءً وجرأة   علينا وإقداماً بكل مساءة

(كما تقول القصيدة) فلما لم يسمع له نداء أرسل أسطولا لاغاثتهم وإعانتهم فى محنتهم ولكن الشمس كانت الى الغروب

رباط الفتح (المغرب الأقصى)   عبد الكريم بن الحسنى

تكريم الأزهر للأستاذ الأكبر

أقام الأزهر علماؤه وطلابه فى مساء الأربعاء الماضى حفلة تكريمية للأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغى دُعى اليها ألوف ، وألقيت فيها خطب ، وأنشدت بها قصائد ؛ وكانت الرسالة تود أن تسجل هذه الظاهرة الجديدة فى حياة الأزهر لولا أن لجنة الاحتفال أغفلت دعوتها ، لسبب ترجو أن يكون كل شىء غير المروق أو الفسوق . . . . ! !

لوبى دى فيجا

تحتفل اسبانيا بذكرى شاعرها الأكبر لوبى دى ڤيجا بمناسبة مرور ثلثمائة عام على وفاته ، وفى الأدب الاسبانى اسمان خالدان يفوقان فى العظمة والبهاء كل اسم آخر : هما سير ڤانتس دى ساڤدرا ، ولوبى دى ڤيجا ، الأول فى النثر والخيال الرائع ، والثانى فى الشعر ؛ وقد عاشا فى عصر واحد ، ولكن سيرڤانتس دى ساڤدرا قد غدا اسما عالمياً ، وغدا أثره الشهير «الدون كيشوتى» أثراً من أعظم الآثار العالمية ، هذا بينما يبقى لوبى دى ڤيجا اسبانياً فقط وينحصر صيته وأثره فى الأدب الاسبانى ، ولكن لوبى دى ڤيجا يبذ من هذه الناحية مواطنه ومعاصره ، فهو عميد الأدب الاسبانى الحديث وأعظم أقطابه ، وهو لوبى فيلكس دى ڤيجا ، ولد بمدريد فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٥٦٢ ، وربى تربية عسكرية ، وانخرط فى سلك الجيش بادىء ذى بدء ، وفى سنة ١٥٨٢ اشترك فى الحملة التى بعثتها اسبانيا إلى جزائر الآزور ، وبعد ذلك بأعوام اشترك فى الحملة البحرية الكبرى التى جردتها اسبانيا لغزو انكلترا وهى المعروفة بحملة « الارمادا » ، (سنة ١٥٨٨) ؛ ثم انتقل إلى الحياة المدنية ، وعمل سكرتيراً للدوق آلڤا (دوق البه) وزير فيليب الثانى الشهير ، واشتغل بعد ذلك سكرتيراً للمركيز ملبيكا . وفى سنة ١٦١٣ دخل الرهبنة وانقطع للنظم والكتابة حتى وفاته فى ٢٧ أغسطس سنة ١٦٣٥ .

كان لوبى دى ڤيجا شاعراً عبقرياً ومؤلفاً مسرحياً عظيماً ؛ وكان يضطرم ابتكاراً وطرافة ، وكان ينثر فى شعره كل العواطف البشرية وضاءة ملتهبة من الحب والأسف والغيرة والأمل والحزن والطمع وطموح المجد ؛ وكان شاعر الحقيقة فى الوقت نفسه يتنقل بين مراحل الحياة البشرية ؛ وكان أنيقاً فى لفظه يتخير التعبير المنسجم ، فيجمع نظمه بين الفلسفة الحية والخيال الساحر والبيان الرائع . وكان تقلبه فى ميادين الحياة المختلفة ، من الجندى ، إلى الحياة المدنية ، ثم إلى الحياة الكنسية ، من أكبر عوامل الخصب والتنوع فى خياله ؛ وكان يحب مسقط رأسه «مدريد» ويخصها ويخص مجتمعاتها بكثير من نظمه الممتع ، بيد أن لوبى دى ڤيجا كان شاعر الخاصة ، ولم يغز نفوس الكافة ، ذلك لأنه كان يرتفع عن مستواهم فى تفكيره وفى وحيه ؛ أما معاصره وشريكه فى

الخلود ، سيرفانتيس ، فقد كان أبعد صيتاً منه فى نفوس الكافة ، لأنه كان أكثر تنزلاً اليهم وأقرب إلى أفهامهم ومشاعرهم

وكتب لوبى دى فيجا كثيراً للمسرح الاسبانى ، وكان من أعظم عوامل مجده وازدهاره ؛ وقد بلغ ما كتبه من القطع المسرحية زهاء ألفى قطعة ؛ ولم يتبوأ مكانه فى الأدب الاسبانى بقريضه وأناشيده قدر ما تبوأها بهذا التراث المسرحى الرائع . وله أيضاً كثير من المؤلفات القصصية ، ونظم كثيراً من الأناشيد والشعر الخالص فى مختلف الفنون والنواحى ، وكان يتبوأ فى عصره ذروة النفوذ ، ويمكن أن نقارن نفوذه الروحى فى عصره وفى أمته بنفوذ ڤولتير فى فرنسا فى القرن الثامن عشر

وفاة المحدث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسنى

استعز الله بمحدث الشام وعلامة الاسلام الأستاذ الأكبر الشيخ بدر الدين الحسنى والد رئيس الحكومة السورية عن تسعين عاماً قضاها فى الاقراء والافتاء والعبادة . وقد عرا الشام من هول مصابه رجفة من الحزن لم تسكن على الصبر والعزاء بعد . وقد نشرنا عنه فى هذا العدد مقالاً للأستاذ الطنطاوى يُبين عن فضله ويكشف عن عظم المصاب فيه

اربعون عاما من السينما

فى أواخر سنة ١٨٩٥ ، أذاع لوى لوميير أنه قد أتم اختراع جهاز ضوئى جديد ينقل صور الأشخاص والكائنات فى حركاتها الطبيعية . وفى شهر ديسمبر من هذا العام أقيمت التجربة العملية الأولى لهذا الاختراع فى البهو الأسفل لمقهى يقع فى البناء رقم ١٤ من شارع الكابوسين ؛ وكان هـذا الاختراع هو السينما ، فاجتمع لشهوده ثلاثة وثلاثون شخصاً ؛ ولم يكن المعروض « فلماً » شائقاً بالمعنى الصحيح ، ولكن مناظر متقطعة من الأشخاص والأعمال

وقد عمل لوى لوميير وأخوه أوجست لوميير بعد ذلك على تحسين هذا الاختراع الذى درسه مخترعون آخرون قبل ولاسيما هنرى ماريه العلامة الطبيعى الشهير . وعاش لوميير ليرى بعينيه كيف نما اختراعه وأضحى أداة مدهشة من أدوات المتعة والثقافة العالمية . وقد تناوله أثناء هذه الحقبة مخترعون عظماء مثل أديسون وتعهدوه بطائفة من الابتكارات المدهشة حتى أضحى من أعظم مدهشات عصرنا

وفى الأنباء الأخيرة أن بلدية باريس قد احتفلت بمرور أربعين عاماً على اختراع لوى لوميير لآلة السينما ؛ وشهد لوى لوميير الاحتفال بظفره بعد أربعين عاماً من تحقيقه ؛ وألقيت خطب بديعة ، وأنعم على المخترع خلالها بوسام الاستحقاق الذهبى

كتاب عن مصر

أخرجت شركة درلانجر للطباعة والنشر فى انجلترا كتاباً جديداً بعنوان « آخر بلاء لمصر » وهو يتضمن تاريخ حياة اللواء رسل باشا حكمدار القاهرة وقصة مكتب المخدرات

مؤتمر المستشرقين

سيعقد فى مدينة روما مؤتمر المستشرقين التاسع عشر بين ٢٣ و ٢٩ من شهر سبتمبر القادم ، وسيمثل مصر فيه الأساتذة طه حسين وأحمد أمين ومصطفى عبد الرازق

وسيشهده طائفة أخرى من رجال الأدب واللغة فى مصر وفلسطين وسورية ، وقد أسندت وكالته إلى الدكتور كارلو نالّلينو أستاذ الأدب العربى بجامعة روما وعضو المجمع الملكى للغة العربية بالقاهرة

مجلة الفجر الفلسطينية

توفرت طائفة من شباب العرب فى فلسطين على اخراج مجلة أدبية أسبوعية باسم « الفجر » تصدر عن مدينة يافا

ويقوم على تحريرها نخبة ممتازة من الكتاب فى فلسطين ؛ كالأساتذة محمود سيف الدين الايرانى ، وعارف سليمان العزونى ، والدكتور أبى غنيمة ، وسامى السراج . يعاونهم فى تحريرها من مصر الأساتذة محمود تيمور وابراهيم المصرى ومحمد أمين حسونه ؛ وقد صدر منها عددان دلا على نزعة طيبة وجهد محمود

لإحياء ذكرى ليسنج

كانت قد ألفت فى ڤينا قبل الحرب لجنة خاصة للنظر فى اقامة أثر تذكارى كبير للكاتب والنقادة الألمانى الكبير ليسنج ومرت اللجنة بأدوار وأحداث كثيرة ، وتوقفت أعمالها أثناء الحرب ، بيد أنها وفقت أخيرا إلى اتمام مهمتها بعد صعاب جمة ، وافتتح الأثر الذى صنعه المثال شارو برمم ليسنج فى حفلة كبيرة جمعت رجال الفن والأدب وأساتذة الجامعة ؛ وخطب رئيس أكاديمية الفنون وهو رئيس لجنة الذكرى الدكتور ردليخ فنوه بالعلائق الفكرية التى تربط ليسنج بمدينة ڤينا إذ زارها مرتين ، وأقام بها ردحاً من الزمن ، وكان يحلم فيها بأن يغدو مديرا للمسرح الامبراطورى حيث كانت تمثل رواياته بنجاح مستمر ؛ وأشار إلى أن الأثر الذى يقام للكاتب فى ڤينا إنما يراد به تحية الآراء والمبادئ التى كافح ليسنج من أجلها ، وهى مبادئ الانسانية والعدالة والتسامح ؛ وهى مبادئ تخلو اليوم منها بعض المجتمعات (يشير إلى ألمانيا) . وخطب وزير المعارف النمسوية الدكتور برنتر ؛ فأثنى على حياة ليسنج ومؤلفاته ، وقال إن النمسا الحالية تكرم فى شخصه ألمانيا العالية ، وتدلل على أنها ما زالت بلد الثقافة الروحية والفن الرفيع ؛ وأنها على أهبة دائماً لأن تكرم النبوغ الفكرى ؛ وأعلن حاكم مدينة ڤينا أنه يضع يده على الأثر باسم المدينة ؛ وأن الميدان الذى يقام فيه سيسمى قريباً بميدان ليسنج

وليسنج كما هو معروف من أكبر كتاب ألمانيا المسرحيين فى القرن الثامن عشر

أثر جديد لجان لوران

نشرت مجلة « الأخبار الأدبية » الفرنسية (نوفيل لترير) فى أحد أعدادها الأخيرة فصلاً عنوانه « خاتمة مسيو دى بوجرلون » وهو أثر لم ينشر من قبل للكاتب الفرنسى چان لوران ؛ وتتمة لكتاب قصصى بقلم لوران عنوانه « مسيو بوجرلون » ظهر فى سنة ١٨٩٧ ، ولقى فى عصره نجاحاً عظيما ، وطبع مراراً فى أعوام قليلة ، ولآثار چان لوران قيمة خاصة ، فهو كاتب اجتماعى وافر السحر والطرافة ، وقلما تجد فى الآداب الفرنسية نظيراً لأسلوبه المطبوع أو تصويره الدقيق . وقد امتاز لوران بأنه يصف من المجتمع جوانبه الخفية ، ومثالبه المروعة ، فليس أبدع ولا أروع من قلمه فى وصف أوكار البغاء والرذيلة ، ومهابط الفجور والتدهور الاجتماعى ، وصرعى المخدرات والشهوات السافلة . وقد توفى هذا الكاتب المبدع سنة ١٩٠٦ بعد أن تبوأ فى أدب عصره أرفع مكانة

نادى المثنى بن حارثة

فى بريد العراق أن شباب بغداد أسسوا نادياً بهذا الاسم ، غايته بث الثقافة العربية ، واحياء التقاليد القومية ، واذكاء روح الرجولة فى الشبان بالطرق المشروعة ، ومحاربة كل ما يضعف الأخلاق ويوهن الصحة

وفى النادى لجان مختلفة ، منها لجنة الثقافة القومية ، تعد المحاضرات والخطب والنشرات العلمية ، وتقوم باحياء الأيام والحوادث القومية ، وتكافح الأمية ، وتعنى بالآثار العربية ، وتعد مكتبة منظمة تحوى الكتب العربية المختلفة ، وتتصل بالحلقات العلمية فى البلاد العربية

واللجنة الاجتماعية ، ومهمتها الخدمة الاجتماعية : وتقوم بالارشاد الصحى والاجتماعى والتهذيبى ، وتعالج المرضى من الفقراء ، وتعنى عناية خاصة بالفلاح والعامل وترقية شؤونهما

ولجنة الفنون الجميلة ، وهذه تعنى بالأناشيد العربية والموسيقى وتمثيل الروايات القومية والقيام بترقية الرسم والتصوير والنحت والاعتناء بالعربية

واللجنة الاقتصادية ، تأخذ على عاتقها تشجيع المصنوعات الوطنية ، والسعى إلى ايجاد مصانع وطنية تقوم باحياء بعض الصناعات الوطنية التى كان لها الشأن الكبير فيما مضى ، وهى تعمل كذلك على ايجاد صناديق للتوفير وغير ذلك من الأمور الاقتصادية التى تحتاج اليها البلاد

ولجنة محيى القرى ، وهى تعنى بايجاد قرية عراقية عصرية كاملة من جميع الوجوه العمرانية والصحية

ثم اللجنة الرياضية ، وتقوم بتشجيع الرياضة والألعاب على اختلاف أنواعها ، من فروسية ورماية وركوب خيل وصيد وسباحة ، وتعنى بصورة خاصة باحياء الألعاب القومية الموروثة

ومثل هذا النادى المفيد يحتاج إلى عون الحكومة ليأمن عوادى الانحلال وجرائر الفوضى ؟

الكتب

رسالة فى الاسلام

بين هيجل ومحمد عبده

تاليف الأستاذ محمد محمد البهى

عضو بعثة تخليد ذكرى الامام

من أولى نتائج الدرس الذى عكف عليه أعضاء بعثة تخليد ذكرى الأستاذ الأمام محمد عبده ، كتيب قيم وضعه باللغة الألمانية الأستاذ محمد محمد البهى ، الذى لا زال يتابع دراسته فى جامعة هامبورج بألمانيا

ويقول المؤلف فى مقدمة كتيبه هذا إن الدافع له على إصداره هو ما رآه فى ألمانيا من أن الناس فيها لا يفقهون الاسلام على حقيقته ، وقد كوّن رأيه هذا بعد استماعه لأستاذه « نوك » Brof. Dr. Noack فى محاضراته عن « فلسفة التاريخ » لهيجل ، وبعد اشتراكه فى مساجلة الأستاذ شتروتمان Brof. Dr. Srtolhmann لتلاميذه فى عدد من المؤلفات عن الاسلام . وبذلك أتيحت له الفرصة ليوازن بين آراء « هيجل » فى الاسلام ، كما جاءت فى كتابه « فلسفة التاريخ » ، وآراء فيلسوف الاسلام الامام محمد عبده ، كما جاءت فى كتابه « الاسلام والنصرانية ، والعلم والمدنية » . وأراد الأستاذ البهى أن يتقدم برسالة فى هذا الموضوع لينال بها الدكتوراه فى الفلسفة ، ولكن غيرته على العلم والدين لم تمهله حتى يستوفى البحث ، فأصدر هذا الكتيب لينفس عن روحه وليطلق فكرته من عقالها ، وكان حقاً موفقاً فى سرد أهم آراء الفيلسوف الألمانى هيجل الخاصة بالاسلام ، وبرغم الاجمال الذى التزمه المؤلف فانه ألمّ بتلك الآراء إلماماً حسناً . فذكر كيف أن الاسلام فى نظر الفيلسوف هيجل ، هو صورة صادقة للعقلية الشرقية ، فهو يجمع بين المتناقضين : المسائل التجريدية والمسائل الواقعية . وأن فكرة الآله عند اليهود هى غيرها عند المسلمين — على حد ما يعتقده هيجل ، فيهوا Jehova هو رب الشعب الاسرائيلى فقط ، أما الله فرب العالمين ؛ ويرى هيجل أن المسلمين يعيشون ويحيون من أجل دينهم وتحقيق مبادئه ، وأن حياتهم الدنيوية ليست إلا وسيلة لبلوغ الآخرة ومافيها من متاع . ولهذا كانت فتوحاتهم العظيمة فى آسيا وأفريقيا وأوروبا . وكان التعصب ضد الكفرة على أشده فى بادئ الأمر ، إلا أنه تراخى بعض الشيء ، فاستعيض عن قتل الكافر بفرض جزية سنوية على شخصه ؛ ومع ذلك لم يكن التعصب فى الاسلام مدعاة تخريب وهدم ، كما هى طبيعة التعصب ، بل كان فوق ذلك مدعاة تشييد وبناء . ثم تدرج المؤلف إلى ذكر رأى هيجل فى أن الاسلام كدين يبرر أعمال العنف والقوة لنشره ، كما برر روبسبير Robespierre أعمال العنف والقوة لبلوغ الحرية ؛ وأن الفردية فى الاسلام من التناقض بدرجة تجعل الحاكم الذى يبغى المجد والعظمة والسيطرة لايتوانى فى أن يضحى بها جميعاً فى سبيل الدين ، وقد لا يلبث إلا قليلاً حتى يستردها دون هوادة ، وأن الخليفة عمر — على حد ما ذكره هيجل — هو الذى أمر باحراق مكتبة الاسكندرية ، بينما الخليفة المنصور كان يجمع العلماء فى مجلسه ويغدق عليهم العطايا ؛ وبحسن معاملته لهم ازدهر الأدب والعلم فى أيامه . ثم ذكر بأن الحريات كانت مكفولة للناس كافة ، لا فرق بين رجل وامرأة ، ولا بين طبقة وأخرى ، حتى كان الرجل من رعاع الناس يدخل على الخليفة فى مجلسه فيحدثه مطمئناً عن كل ما يريد ؛ ولكن عقب ذلك اعتكف الخلفاء والحكام فى قصورهم وأبعدوا الشعب عنهم ، فانقلب الحال إلى الضد . ويرجع « هيجل » أسباب ذلك إلى أن التعصب الدينى كانت قد بردت حرارته ، فبدأت المفاسد تسود المجتمع ، وأصبح الاستمتاع بملذات الحياة شهوة الناس فى هذه الدنيا ، ثم تراجع الاسلام كما

يقول هيجل إلى أفريقيا وآسيا ، ولم تطقه النصرانية إلا فى ركن ضيق من أوروبا . وتلاشى الاسلام كقوة مسيرة لتاريخ العالم . ويعترف هيجل بأن الغربيين أخذوا عن العرب مختلف العلوم والفنون والمعارف ، وبخاصة الفلسفة ؛ ويقر فيلسوف الألمان أن الاسلام هو أكبر ظاهرة فى تاريخ العالم

غير أن الأستاذ البهى يرى أن هيجل حكم على الاسلام من خلال أعمال بعض المسلمين . وكان الأولى به أن يرجع إلى مصادر الاسلام وهى : القرآن والحديث وما أجمع عليه الأئمة . وعاب على هيجل طريقته فى البحث ، وقال بأنه (أى المؤلف) لن يكون عادلاً فى حكمه إذا ما نسب إلى الدين المسيحى عداءه للعلم ومحاربته لحرية الفكر ، مستندا فى ذلك إلى بعض الحوادث التى منها :

(١) إعدام (حيباتيا) المصرية Hypatia ، وكانت سيدة من أفذاذ العلماء الرياضيين ، عام ٤١٥ ميلادية أثناء تعقب النصارى للفلاسفة

(٢) إحراق ١٢٢٠ شخصاً بالنار فيما بين سنة ١٤٨١ و ١٤٩٩ ميلادية ، وهم أحياء تنفيذاً لأحكام الرقابة الموضوعة على الكتب وأصحابها

(٣) إحراق جيوردانو برونو Giordano Bruno ، الذى قال بالوحدانية الربانية

(٤) إحراق الكردينال زيمنس Ximenes ٨٠٠٠ مجلد من الكتب العلمية فى غرناطة

إن كل هذه الأعمال لا تؤيدها التعاليم الدينية المسيحية ، وكل بحث يرتكن إلى مثل هذه الأشياء يكون خاطئاً . وهكذا كان هيجل فى بحثه عن الاسلام ؛ واستشهد المؤلف برأى الأستاذ هورتن الذى ذكر فى أحد كتبه : « أن انحطاط المسلمين وعدم قيامهم بأعمال مجيدة سامية لا ترجع الى روح الاسلام ، ولكن إلى سوء تصرف الخلفاء وإلى غيره من الأمور ، ونشأ عن ذلك أضرار عديدة بالدين والعادات وسمعة الاسلام »

ثم ناقش الأستاذ البهى ثمانى مسائل من آراء الفيلسوف هيجل أولها : الفردية فى الاسلام . فهى ليست العمل للآخرة دون سواها ، كما تصورها هيجل ، ولكن العمل للدنيا أيضاً ؛ واستشهد بما جاء فى الذكر الحكيم : « ولا تنس نصيبك من الدنيا » ، وما جاء فى الحديث : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا »

وتكلم فى المسألة الثانية عن الصوم وأن الغرض منه ليس مجرد صحة الأبدان ، بل له غرض معنوى آخر هو إشعار الصائم بوجوب العطف على الفقراء والمساكين

أما المسألة الثالثة فقد حاول فيها الأستاذ البهى أن يثبت بأن الاسلام لم يكن فى كل الحروب التى خاضها إلا مدافعاً عن كيانه . أما فكرة الغزو لاجبار الناس على اعتناق الاسلام ، فليس لها أصل فى الدين . وقد استشهد بآراء هورتن الذى ذكر فى أحد كتبه بأن الحروب الدينية فى الاسلام لم تكن إلا للدفاع عن هجمات الأعداء أو لاخماد فتنة . ولهذا كانت الفكرة القائلة بأن الدين الاسلامى يبرر أعمال العنف والقوة فكرة خاطئة

وعالج المؤلف فى المسألة الرابعة مسألة الجزية على الذميين ، وقال بأن الغرض منها لم يكن إجبار الناس على اعتناق الاسلام بل كانت مجرد ضريبة للمحافظة على أرواح الناس وأملاكهم

أما عن التعصب فى الدين ، وهى المسألة الخامسة فالاسلام لايعارض العلم ، ولايعاقب الأحرار من العلماء أو يتعقبهم ، بل دعا الدين الاسلامى إلى الدراسة ، وإلى العلم والمعرفة ، وقد أحيا المسلمون العلماء أياً كانوا ، وأشادوا بذكرهم واحترموهم وبجلوهم ؛ ويكفى أن علماء اليهود فى سورية وعلماء النصارى فى مصر ، كانوا يجلسون مع غيرهم من العلماء فى مجالس الخلفاء والحكام . ولقد نقل المسلمون العلوم إلى بلاد الغرب ، كما أن الاسلام لم يحظر على الناس حرية البحث ، بل ضمن لهم الحرية الكاملة سواء أكانوا من الأولياء أم الأعداء

أما مسألة حرق العرب لمكتبة الاسكندرية ، وهى النقطة السادسة ، فان هذه الدعوى لم تأت فى أى كتاب علمى للتاريخ ، وقد كذبها دائرة المعارف الاسلامية ، كما كذبها الأستاذ موللر Prof. Müller فى كتابه « الاسلام فى الشرق والمغرب »

وعالج المؤلف فى النقطة السابعة عفاء الدولة الاسلامية ، وقال إن ذلك يرجع إلى أسباب سياسية واقتصادية ، مما ليس له علاقة بالدين ، واستشهد برأى الفيلسوف شبنجلر حيث يقول :

شرح الايضاح
فى علوم البلاغة

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

المدرس بكلية اللغة العربية

ذكر جلال الدين الخطيب أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن القزوينى أنه ألف كتابه (الايضاح) وجعله على ترتيب مختصره الذى سماه (تلخيص المفتاح) وبسط القول فيه ليكون كالشرح له ، فأوضح فيه مواضعه المشكلة ، وفصل معانيه المجملة ، وعمد إلى ما خلا عنه المختصر مما تضمنه (مفتاح العلوم) للامام السكاكى ، وإلى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الامام عبد القاهر فى كتابيه (دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة) وإلى ما تيسر النظر فيه من كلام غيرهما — فاستخرج من ذلك كله زبدته ، وهذبه ورتبه حتى استقر كل شىء منه فى محله ، ثم أضاف إلى ذلك ما أداه اليه فكره ولم يجده لغيره ، فجمع بهذا أشتات هذه العلوم كلها ، واستقامت له فيها هذه الطريقة البديعة التى فتن بها الناس بعده وجاراه فيها كل من كتب فى علوم البلاغة الثلاثة إلى الآن

وهو يميل فى مختصره (تلخيص المفتاح) إلى طريقة السكاكى فى العناية بجمع القواعد دون إيراد الشواهد ، ويميل فى الايضاح إلى الجمع بين طريقة السكاكى فى ذلك ، وطريقة عبد القاهر فى العناية بإيراد الشواهد ، وقد امتاز فى إيضاحه على السكاكى فى طريقته بحسن الترتيب ، وبوضوح العبارة وجريها على الأسلوب العربى ، كما امتاز على عبد القاهر بالقصد فى إيضاح القواعد على ما يليق بأسلوب الكتابة العلمية

ولكن العلماء الذين أتوا بعد الخطيب لم تعجبهم طريقة (الايضاح) على ما تمتاز به من هذه الميزات العظيمة ، وفتنوا أيما فتنة بطريقة (التلخيص) فى العناية بجمع القواعد ، وإهمال إيراد الشواهد من منظوم العرب ومنثورهم ، فوضعوا عليه من الشروح المبسوطة مالا يحصى ، ووضعوا على تلك الشروح شروحاً سموها حواشى ، ووضعوا على تلك الحواشى شروحاً سموها تقارير ، وجروا فيها كلها على إهمال ما أهمله الخطيب فى تلخيصه من تلك الشواهد التى لا يستقيم النظر فى هذه العلوم إلا بها ، فجاء كل ما كتبوه على هذه الطريقة حشواً لا فائدة إلا فى القليل منه ، حتى أصبحت طريقة غاية فى العقم ، وغدت دراسة هذه العلوم بها خالية من الثمرة ، عاجزة عن تربية الذوق البيانى

وقد أحسنت كلية اللغة العربية من كليات الجامع الأزهر بالعدول عن درس هذه العلوم فى التلخيص وشرحه للسعد التفتازانى إلى درسها فى الايضاح وحده ، ولكن طلاب هذه الكلية يجدون أنفسهم فى حاجة إلى الرجوع إلى هذه الشروح والحواشى والتقارير فى كثير من مواضع الايضاح فى سائر أبوابه ، فيضطرون بحكم هذه الحاجة إلى الرجوع إليها كلها ، واستيعاب النظر فيها ، وتضييع بذلك الفائدة المقصودة من إيثار درس الايضاح عليها

ولا شك أن هؤلاء الطلاب وغيرهم من طلاب هذه العلوم فى حاجة إلى شرح على الايضاح يجاريه فى طريقته ، ويكمل من شواهده مالم يكمله ، ويزيد عليها ماتدعو الحاجة إليه ، وينظر فى ذلك الحشو الكثير الذى أتخمت به هذه العلوم فيختار منه ما فيه فائدة تتصل بها وما أقل ذلك بينه ، ويهمل ما لا اتصال له بها وما أكثره فيه ، ويؤدى مع ذلك كله واجب النظر العلمى الحديث فى بعض مسائلها ، وقد وفق الله واضع هذا الشرح الجديد على الايضاح إلى ما أراده من هذه الأغراض ، فجزاه الله عنه خير الجزاء (ص)

« وإذا كان هيجل قد ختم بحثه عن الاسلام بقوله : « إن قوة الاسلام اختفت كعامل لتكييف تاريخ العالم . . . » فعلينا أن نتذكر بأنه يوجد اليوم ثلثمائة مليون مسلم فى العالم »

وأعقب الأستاذ البهى ذلك البحث بآراء الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى الاسلام ، مستندا فى ذلك إلى كتابه « الاسلام والنصرانية ، والعلم والمدنية » — كما ذكرنا فى البدء . وإنا نكتفى هنا بالاشارة اليه ، ليراجعه من يهمه الاطلاع عليه

ابراهيم ابراهيم يوسف